٤٣
تصدر منتصف كل شهر هجري - السنة الثامنة - ١٥ / جمادى الآخرة / ١٤٢٤ هـ - عدد ٤٣

# الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

## إقرأ في هذا العدد . . .

ماذا ينقمون من بلاد الحرمين ؟! . . . أسرة التحرير

موجبات العبودية . . . الشيخ سليم بن عيد الهلالي

من هم الأخسرون ؟! . . . الشيخ هشام العارف

مهلاً . . . يا دعاة التشغيب - عرة هذه الأمة - ! . . . نادر بن سعيد التعمري

ماذا يعني سكوت العلماء عند الفتن ؟! . . . الشيخ فتحي بن محمد سلطان

كتابٌ ، وكلمةٌ . . . الشيخ علي بن حسن الحلبي

قراء الأردن وفلسطين . . . الشيخ محمد بن موسى آل نصر

نظرات تصحيحية في المسيرة الدعوية . . .

فخر الدين بن الزبير

حقائق واجبة الحضور . . . أسرة التحرير

الأصالة
أشعر أنها اسمٌ على مسمّى إن شاء الله
الشيخ العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله
مجموع فتاويه
( رقم ٦٣١٨ )

الناشر
مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

السنة الثامنة - عدد(٤٣)
١٥/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٤هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

# الأصالة

٤٣

## عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً)
من (مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية)
مدير المركز: الشيخ سليم بن عيد الهلالي

أسرة التحرير:
الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر ..... رئيساً
الشيخ سليم بن عيد الهلالي ..... عضواً
الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ..... عضواً
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضواً

### إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بنّاء
في (الأصالة):
منبر لكل مسلم مخلص داع على الحق . .
- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات
- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة
الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

عنوان المراسلة
الأردن - عمّان
ص.ب (٩٨) الرمز البريدي (١٣٧٨١).
تلفاكس: ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢
موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):
www.albani-center.com
البريد الإلكتروني: albani1421@hotmail.com
ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

تطلب (الأصالة) من:
الإمارات: جمعية دار البر - دبي
البحرين: مكتبة التوحيد
الجزائر: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع
08 شارع السيدة الإفريقية - باب الوادي - الجزائر
هاتف: ٢١٩٦٧٧٠٠ (٠)٢١٣ فاكس: ٢١٩٦٦١٠٠ (٠)٢١٣

بريطانيا وإيرلندا:
Call to Islam Education Centre
116 Bury Park Road
Luton Beds
England. UK
Tel: 01582 724 647
FAX: 01582 724 654
E-Mail: calltoislaam@hotmail.com
Web site: www.calltoislam.com

الولايات المتحدة:
AL-QURAN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/ ٣/ ١٣٢٨)- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٢/ ٢٢٠٣/ د).

# خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بـاللهِ مِـنْ شُـرُور أَنْفُسِـنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّـدٍ ﷺ، وَشَـرَّ الأُمُـور مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَـةٍ بدْعَـةٌ، وَكُـلَّ بدْعَـةٍ ضَلالَـةٌ، وَكُـلَّ ضَلالَـةٍ فِـي النَّـار.

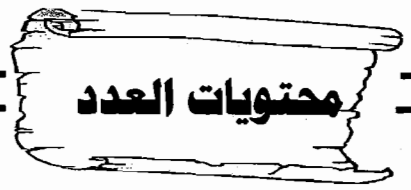

# محتويات العدد


**. فاتحة القول:** ماذا ينقمون من بلاد الحرمين؟!

أسرة التحرير ..... ٥

**. تأملات قرآنية:** موجبات العبودية

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي..... ٨

**. مصطلح وبيان:** من هم الأخسرون؟!

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ..... ١٣

**. كلمات في الدعوة والمنهاج:** مهلاً . . . يا دعاة التشغيب –عرة هذه الأمة–!

أبو الحارث نادر بن سعيد التعمري ..... ٢٠

**. العلم والعلماء:** ماذا يعني سكوت العلماء عند الفتن؟!

الشيخ أبو عبدالله فتحي بن محمد سلطان ..... ٢٩

**. تصفية وتربية:** أسباب ضعف المسلمين أمام عدوهم ووسائل العلاج لذلك (٢)

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ..... ٣٤

**. الكتب تعريفاً ونقداً:** كتابٌ، وكلمةٌ . . .

الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي ..... ٣٩

**. من علوم القرآن:** قراء الأردن وفلسطين (١)

الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ..... ٤٣

• **مباحث عقدية:** الفرق بين الصغيرة والكبيرة، وبيان الآثار المترتبة على ذلك (٤)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ..... ٥١

• **مناهج الأئمة والعلماء:** منهج الإمام الطبري في كتابه ((تهذيب الآثار)) (١)

الشيخ أكرم بن محمد زيادة ..... ٥٩

• **الدين النصيحة:** نظرات تصحيحية في المسيرة الدعوية (١)

أبو العالية فخر الدين بن الزبير ..... ٦٥

• **مباحث حديثية:** إعلام النبية بتضعيف روايات (وأبيك) و(أبيه) (٣)

الوليد بن نبيه بن سيف النصر ..... ٧١

• **أقلام واعدة:** مختصر وصية الفقيه أبي الوليد الباجي (٣)

عبدالرحمن بن محمد بن موسى آل نصر ..... ٧٧

• **مسك الختام:** حقائق واجبة الحضور . . .

أسرة التحرير..... ٨٣


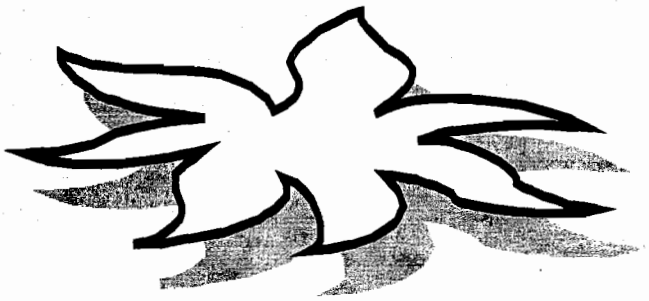

# ماذا ينقمون من بلاد الحرمين؟!

• بقلم: أسرة التحرير

جعل الله أرض الحرمين آمنة إلى يوم الدِّين، منذ أنْ أمر خليلَه إبراهيم أن يُؤذِّن في الناس بالحج ليفدوا إلى بيته الحرام مِن كلِّ فجٍّ عميق؛ كما قال -تعالى-: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ الآية [الحج:٢٧-٢٨]، وقال -تعالى- ممتنّاً على أهل بلاد الحرمين المقدسة-: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [القصص:٥٧]، وقال -أيضاً-: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش:٣-٤].

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولئن نزلت بعض هذه الآيات في مشركي مكة: غير أنها شاملة لأهل الحرم إلى يوم الدِّين، هكذا أراد الله لبيته وحرمه أن يظل واحة أمن وأمان ليأتي إليه الحاج والمعتمر والزائر دون أي خوف أو إزعاج، ولكن يأبى

(خوارج العصر) دعاة وهُواة التَّفجير إلا أن يعملوا على زعزعة أمن الحرمين ضاربين بعرض الحائط الآياتِ والأحاديثَ المحذرةَ من إيذاء المسلمين وترويعهم وقتلهم! فكيف إذا كان ذلك في أشرف وأطهر بقاع الأرض في حرم الله الآمن وأرضه وجواره؟! والله -عزَّ وجل- يقول: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج:٢٥].

إنّ مجرد تحديث النَّفس بالإلحاد في الحرم جُرْمٌ عظيمٌ، وذنبٌ كبيرٌ، فكيف بمن سفك الدم الحرام في البلد الحرام؟

كيف بمن فخَّخ المصاحف بالمتفجرات ويزعم أن ذلك جهاد وفداء؟!

إنّ أولئك البغاة الذين يسعون في أرض الحرمين وفي غيرها من أرض الإسلام فساداً إنّهم في الحقيقة يَخدِمُون أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وسائر أعداء الدِّين؛ لأنّ أعداء الإسلام يفرحون ويطربون بل ويرقصون طرباً عندما يلحق الأذى بدولة إسلاميّة وعلى الأخص الدولة الإسلامية الراعية للحرمين الشريفين، الحامية لهما النّاشرة لعقيدة التوحيد في بلاد العرب والعجم.

فلماذا هذه الهجمة شرسة من الداخل والخارج على بلاد الحرمين لماذا؟!

لأنّها المعقل الأخير للإسلام، ولأنّها تقيم شرع الله على أساس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتنشر التوحيد في ربوع الأرض، فلا بدَّ من محاربتها وإضعافها وإشغالها بالفتن!! ولا بدّ من زعزعة أمنها لزعزعة الثقة فيها وإظهارها بمظهر العاجز عن حماية مقدساته؛ لمنع الحجيج والزّوار والعُمّار من المجيء إليها، فيضعف اقتصادها، وتنشغل عن واجباتها المقدسة في خدمة الحرمين وخدمة الإسلام والمسلمين.

ثم؛ وإنَّ الذين يتهمونها ظلماً وزوراً برعاية الإرهاب تارة هم أنفسهم الذين يشمتون فيها بفعل هؤلاء السفهاء القتلة من خوارج العصر وبغاته، فانظر كيف يلتقي هؤلاء على هدف واحد وغاية واحدة ولو بغير قصد؟!

وصدق الله حيث قال: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠]، فأعداءُ الإسلام في الشرق والغرب لن يرضيهم شيء إلا أن تنسلخ الأمّة من دينها انسلاخ الحيّة من قشرها حكّاماً ومحكومين، ويلحقوا بالغرب عقيدة وحضارة وثقافة وأخلاقاً.

وهذا -بإذن الله- لن يكون ما دام فينا كتابه وسنّة نبيه وما دام فينا علماء ربّانيون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجاهدون بلسانهم وبنانهم وبيانهم، يقمعون فتنة كُلّ خارجي مارق ومبتدع ضال ويحذرون من مؤامرات أعداء الإسلام وينصحون ولاة أمورهم بالتي هي أحسن للتي هي أقوم برفق وحكمة؛ لِيُعينوهم على الشيطان ولا يُعينوا الشيطان عليهم، يدعون لهم بالخير ولا يدعون عليهم بالويل والثبور.

حفظ الله بلاد الحرمين خاصّة وأرض الإسلام عامّة من كلّ متآمر سواءٌ كان من أعدائنا الظاهرين أم من أبناء جلدتنا المتخفّين وراء الإسلام -زعموا-، وهو منهم ومن أعمالهم براء، والله من ورائِهم جميعاً محيط لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

## قال الإمام الألباني -رحمه الله-:

**((واليوم -والتاريخ يُعيد نفسَه كما يُقال-؛ فقد نبتت نابتة مِن الشباب المسلم، لم يتفقهوا في الدين إلا قليلاً، ورأوا أنّ الحكام لا يحكمون بما أنزل الله إلا قليلاً، فرأوا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقه والحكمة منهم، بل ركبوا رؤوسهم، وأثاروا فتناً عمياء، وسفكوا الدّماء، في مصر، وسوريا، والجزائر، وقبل ذلك فتنة الحرم المكي، فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح [«أن لا نُنازعَ هذا الأمرَ أهلَه»] الذي جرى عليه عَمل المسلمين سلفاً وخلفاً إلا الخوارج)).**

[«السلسلة الصحيحة»(٧/ ١٢٤١)]

تأملات قرآنية

# مُوجبـــــات العبوديَّـــــة

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

قال -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

جمع الله -سبحانه وتعالى- في هذا النِّداء الكريم إلى الناس كلِّهم موجبات العبودية: فهو ربّهم الذي خلقهم والذين من قبلهم، وهو ربّهم الذي يرزقهم، ربّهم الذي تفرّد بالخلق، والرّزق، فوجب أن يتفرد بالعبودية.

١) الله -جل جلاله- خالقنا؛ فهو وحده يستحق العبادة.

لقد خلقَ اللهُ بني آدم في أحسن تقويم، وكرَّمهم وفضلهم على كثير ممّا خلق تفضيلاً، وأراد لهم أن يكونوا على أفضل صورة مختارة من صور البشرية . . . صورة العابدين لله . . . المتقين له الذين أدوا مقتضى الرّبوبية الخالقة؛ فعبدوا الخالق وحده.

ولقد خاطب الربُّ الكريمُ النّاسَ بهذا الموجب في غير موضع، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١].

وبه احتج الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-؛ كما قال -تعالى- مخبراً عنهم: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء:١٨٤].

**٢) الله هو رازقنا فهو يستحق العبادة.**

قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فالله وحده هو الذي يغدو العبد بنعمه، فينبغي على العبد أن يكون شاكراً لأنعمه، مقراً بحكمته.

ولقد احتج الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- بهذا الموجب على أقوامهم؛ كما قال -تعالى- عن إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت:١٧].

ولقد ذكر الله -سبحانه- موجبات العبودية في فواتح (سورة النحل) بعد أنْ قرّر أنَّ العبودية سبب إنزال الكتب وإرسال الرسل فقال -تعالى-: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل:١-١٦].

وتأمل كيف ختمَ اللهُ هذه الآيات البيّنات -بعد ذكره لأفواج مخلوقاته ونعمه-: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ

ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل:١٧-٢١].

وهو تعقيب يأتي في أوانه، فيوقظ نفس العبد؛ ليتعاهد إيمانه، فإنها مهيئة للإقرار بمضمونه . . . فليس هناك شيء أحق بالعبودية من الله؛ لأن العاقل يستحيل أن يسوي بين من يَخْلُق ومن لا يُخْلَق بل يُخْلَق . . . فما يحتاج الأمر أكثر من تذكير، فيتضح الأمر، ويتجلى اليقين.

وكذلك ذكر رسول الله ﷺ موجبات العبودية فقال: «إن الله -عز وجل- أمر يحيى بن زكريا -عليه السلام- بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، وأنه كاد أن يبطئ بها.

فقال له عيسى -عليه السلام-: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهنّ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فإما أن تبلغهنّ أو أن أبلغهنّ:

فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي.

قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن:

أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب؛ فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فايكم يسره أن يكون عبده كذلك، وأن الله خلقكم ورزقكم؛ فاعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً.

وأمركم بالصّلاة، فإنّ اللهَ ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم؛ فلا تلتفتوا.

وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك

كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند من ريح المسك.

وأمركم بذكر اللهِ كثيراً، وإنّ مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً، فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنّه من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم».

قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلى.

فقال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا الله بأسمائهم على ما سماهم الله -عز وجل- المسلمين المؤمنين عباد الله»[1].

قال ابن كثير -رحمه الله- بعد أن ساقه تفسير لمعنى قول الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١]-: «هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً»[2].

قلت: فجعل الخلق والرزق موجبات العبودية، فتدبر!

والله الموفّق.

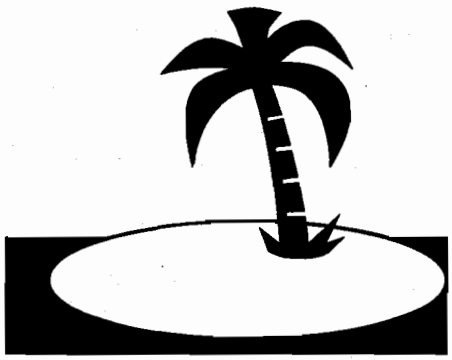

(١) حديث صحيح؛ كما بينته في «صحيح الوابل الصيب» (ص٣٨-٤٠).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٦٢).

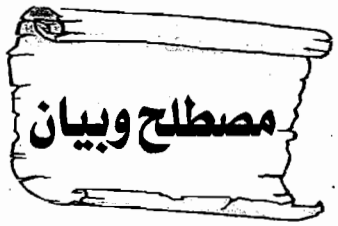


# مَن هم الأخسرون؟!!

• بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسيّ

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

قال الله -تعالى- في (سورة النازعات) يحكي عن الأخسرين كلامَهم:

﴿ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝﴾.

حصر الله -تعالى- الخسارة في الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وخسروا الإيمان الذي دعتهم إليه الرسل، فقال -تعالى- في (سورة النمل): ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝﴾.

وقال -تعالى- في (سورة هود):

﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا

يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

لماذا هؤلاء الأخسرون ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون مع أن لهم أسماعاً وأبصاراً؟!!

**الجواب الأول:** وقد اختاره ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ وناقلاً له عن ابن عباس وقتادة-: أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا أن يبصروه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين؛ عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماع وأبصار، ويدل لهذا قول الله -تعالى- في (سورة الأحقاف): ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

**الجواب الثاني:** واختاره الشنقيطي ـ رحمه الله ـ واستظهره- وهو أن عدم الاستطاعة المذكورة في الآية إنما هو للختم الذي ختم الله على قلوبهم وأسماعهم، والغشاوة التي جعل الله على أبصارهم.

ويشهد لهذا القول قول الله -تعالى- في (سورة البقرة): ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾ [البقرة:٧]، وقوله في (سورة الكهف): ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

وذلك الختم والأكِنَّة على القلوب جزاء من الله -تعالى- لهم على مبادرتهم إلى الكفر وتكذيب الرسل باختيارهم

ومشيئتهم، كما دلت عليه آيات كثيرة، كقوله في (سورة النساء): ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء:١٥٥]. وقوله في سورة الصف: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥]. وقوله في (البقرة): ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة:١٠]. وقوله -تعالى- في (سورة التوبة): ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٥]. وقوله -تعالى- في (سورة الأنعام): ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام:١١٠].

**الجواب الثالث:** أن المعنى: ما كانوا يستطيعون السمع، أي: لشدة كراهيتهم لكلام الرسل على عادة العرب في قولهم: لا أستطيع أن أسمع كذا؛ إذا كان شديد الكراهية والبغض له.

ويشهد لهذا القول قوله -تعالى- في سورة فصلت: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ ﴾ [الحج:٧٢]. وقوله -تعالى- في (سورة نوح): ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح:٧]. وقوله -تعالى- في (سورة فصلت): ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت:٢٦]

قلت: وقد جاء في السُّنّة المُشرّفة التّحذير من عدم الانصياع لأوامر ﷺ بحجة عدم الاستطاعة؛ فإن هذا يفضي إلى خطر عظيم.

فقد أخرج مسلم في «صحيحه»، وأحمد، عن إيَاس بْن سَلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ

أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلا الْكِبْرُ»، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

قال النووي في «شرح مسلم»: «فإن مجرد الكبر والمخالفة لا يقتضي النفاق والكفر، لكنه معصية إن كان الأمر أمر إيجاب».

ومثله ما جاء في ترك الجماعة والجمعة، فعن الْحَكَمِ بْنِ مِينَاءَ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَأَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ -عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ-: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمْ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنْ الْغَافِلِينَ».

أخرجه مسلم، وابن ماجه، والنسائي، وأحمد، وابن خزيمة، والدارمي -وغيرهم-.

وعن أبي الجعد الضَّمْري ـ وكانت له صحبة -رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ».

أي: لقلة الاهتمام بأمرها، لا استخفافاً بها؛ لأن الاستخفاف بفرائض الله -تعالى- كفر وردة.

وعَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَّخِذُ أَحَدُكُمْ السَّائِمَةَ فَيَشْهَدُ الصَّلاةَ فِي جَمَاعَةٍ، فَتَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ سَائِمَتُهُ، فَيَقُولُ: لَوْ طَلَبْتُ لِسَائِمَتِي مَكَانًا هُوَ أَكْلأ مِنْ هَذَا، فَيَتَحَوَّلُ وَلا يَشْهَدُ إِلا الْجُمُعَةَ، فَتَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ سَائِمَتُهُ، فَيَقُولُ: لَوْ طَلَبْتُ لِسَائِمَتِي مَكَانًا هُوَ أَكْلأ مِنْ هَذَا فَيَتَحَوَّلُ، فَلا يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ وَلا الْجَمَاعَةَ، فَيُطْبَعُ عَلَى قَلْبِهِ».

**الجواب الرابع:** أن الله -تعالى- شبَّههم بالحجارة لا تسمع ولا تبصر فقوله -تعالى-: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [هود:٢٠] وهي صفة الأصنام التي اتخذوها أولياء من دون الله، ويشهد لهذا المعنى قوله -تعالى- في (سورة الأعراف): ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ

يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٩٥].

لذلك فهؤلاء الأخسرون حين عطلوا حواسهم المهمة: السمع والبصر، عن الانتفاع بها في سماع كلام الله -تعالى- والعمل بمقتضاه، والتبصُّر بما في كتابه -عز وجل- وسنة ﷺ استحقوا أن يختم على قلوبهم ويكونوا أعظم الناس يوم القيامة خسارة، ولعدة أسباب منها:

١) أنهم اتخذوا الشيطان ولياً وقد نهى الله عن ذلك ويشهد لذلك قوله -تعالى- في (سورة النساء): ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩]، وقوله -تعالى- في (سورة المجادلة): ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٢) الشرك بالله -تعالى-، وقد نهى الله عنه، ويشهد لذلك قوله -تعالى- في (سورة الزمر): ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

٣) النفاق: والذي من علاماته: نقض العهد الذي بينه وبين الله -تعالى-، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والإفساد في الأرض، ويشهد له قوله -تعالى- في (سورة البقرة): ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٤) الكفر بكتاب الله -تعالى- وبسنة نبيه ﷺ، ويشهد له قول الله -تعالى- في (سورة البقرة): ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

٥) الاعتقاد بدين غير دين الإسلام، ويشهد له قوله -تعالى- في سورة (آل

عمـــران): ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

٦) طاعة الكفار وموالاتهم، ويشهد له قوله -تعالى- في سورة (آل عمران): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

٧) الأمـن مِـن مَكْـرِ اللهِ -تعـالى-، ويشـهد لـه قولـه -تعـالى- في (سـورة الأعراف): ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٨) الكفر بـالله -تعـالى-، ومـا يجـب الإيمان به من كتبـه ورسـله أو شـيء مـن الشـرائع: فقـد حبـط عملـه، بشـرط أن يموت على كفره، ويشهد له قوله -تعالى- في (سـورة المـائدة): ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥].

واعلم -أخـي الداعـي إلى الله علـى بصيرة- أن هذا بعد إقامة الحجة وبيـان الدليل، ويشهد لهـذا قولـه -تعـالى- في (سـورة الأعـراف): ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

قال الشيخ السـعدي -رحمـه الله -: «أي: إذا نبّههم الله فلم ينتبهوا، وذكّرهم فلـم يتذكّروا، وهداهم بالآيات والعـبر فلـم يهتدوا، فإن الله -تعالى- يعاقبـهم ويطبـع علـى قلوبـهم، فيعلوهـا الـران والدنَـس، حتى يختم عليـها فـلا يدخلـها حـق، ولا يصل إليها خير، ولا يسمعون ما ينفعهم، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم».

قال كاتب هذا المقال -عفا الله عنه-:

فإذا جاء الختم ـ عافانا الله منه، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ـ أصبح صاحبـه يـرى المنكر حقاً والمعروف باطلاً، ويحسـب أنـه يحسن صنعاً، ويشهد له قول الله -تعـالى- في (سورة الكهف): ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم

بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ ٱلْحَيَوٰةِ فِى ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

٩) اتباع الهوى المخرج صاحبه من الهدى: ويشهد له قول الله -تعالى- في (سورة المائدة): ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وحسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا، فترتب وهو أنهم عَمُوا عن الحقِّ وصمُّوا فلا يسمعون حقاً ولا يهتدون إليه. وقوله -تعالى- في سورة الجاثية: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣].

ويقول الله -تعالى- في (سورة التغابن): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٤-١٦].

الحلقة الأولى

# مهلاً... يا دعاة التّشغيب -عِرّة[1] هذه الأمّة-!

• بقلم: أبي الحارث نادر بن سعيد التعمري

إنّ «الواجب على جميع المسلمين -في كل مكان- التواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر -بالحكمة والموعظة الحسنة-، والجدال بالتي هي أحسن؛ كما قال الله -سبحانه وتعالى-﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢] [2].

ومن التواصي بالبر: دفعُ الفتن، وكشفُ عوار ما ظهر منها وما بطن، بالكلمة والبيان بالتي هي أحسن، في زمن اختلطت فيه الأوراق، وشُوِّهت به الحقائق، وضُيِّعت عزيز المسائل والدقائق.

أخي القارئ! إنّنا في زمان اتسعت

(١) أعني: الخوارج وأحفادهم وأفراخهم، وقد كان الإمام وهب بن منبه -رحمه الله- يقول لطلابه: «احذروا أيها الأحداث الأغمار هؤلاء الحروراء، لا يدخلوكم في رأيهم المخالف، فإنهم عرّة لهذه الأمة»اهـ. «مناصحة الإمام وهب لرجل تأثر بمذهب الخوارج» باعتناء الشيخ: عبد السلام بن برجس (ص١٤).

و(العِرّة) -بكسر العين، وضمِّها-: القَذِر.

(٢) بيان (هيئة كبار العلماء) الصادر برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- والمنشور في (مجلة البحوث الإسلامية) عدد (٥٦) لعام ١٤٢٠هـ.

انظر: «كلمة سواء في النصرة والثناء» للشيخ علي الحلبي -حفظه المولى- (ص٢٥، ٤٢).

رقعة الادِّعاء والانتِساب لمنهج منيف ومسلك شريف؛ ألا وهو المنهج (السَّلَفي)[1] فكم من شخص زعم لنفسه وصلاً (بالسَّلَفية)، وهي لا تقر له بذاكا؟! ذلكم أنه لا يلزم من مجرد الادعاء أن يكون (سَلَفياً) -في حقيقة الأمر- على الجادة، مترسِّماً خطى القرون الثلاثة حتى تُعرَض عقيدته وأقواله وأفعاله على طريقة السَّلَف الأوائل- القرون المفضلة: الصحابة فالتابعين فتابعيهم- فما وافق أُخذ وقُبل، وما خالف رُدَّ وتُرِك!!

ومن ذلك (الادعاء): انتساب أو نسبة تلك الفئة الغاشمة والباغية التي خرجت -من هنا وهناك- بمسالك الخوارج -من تكفير وتثوير طارحةً براثن انحرافها على كاهل منهج السَّلَف -ظلماً وتزويراً-، فكان لزاماً من براءةٍ ظاهرةٍ، وصدٍّ لسبيل المنحرفين ببيان حقيقة منهج السَّلَف وموقفه من الهُوج الدُّهيماء -قديماً وحديثاً-؛ فأقول:

١- (السَّلَفية) ليست بمذهب محدَث، أو حزب مخترَع؛ وإنَّما هي مسلكُ الفَهْمِ لكتاب الله ولسُنَّة رسوله ﷺ؛ وامتدادُ هدايةٍ ونور نبوي يفيح بنوره وريحانه وطيبه على البشرية -بالحكمة والموعظة الحسنة-.

٢- ومن هنا جاءت إيضاحاتُ الأئمة لهذه النسبة الكريمة:

أ- قال السَّمعاني (ت: ٥٦٢هـ) في كتابه «الأنساب» (٧/ ١٠٤):

«والسَّلَفي -بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء-: هذه النسبة إلى السَّلَف، وانتحال مذهبهم -على ما سُمِعَتْ-».

ب- قال أبو إسحاق الجعبري (ت: ٧٣٢هـ) -حين سُئل عن هذه النسبة-: «نسبة إلى طريق السَّلَف» [«الغاية في شرح الهداية في علم الرواية (لابن الجزري)» للسخاوي (ص٦٥)].

ج- قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٦):

«السَّلَفي -بفتحتين-: وهو مَن كان على مذهب السَّلَف».

٣- (السَّلَف)[2]: هم صدر هذه الأمة مِن الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأئمة الهدى

---

(١) إما تستراً من ورائه، أو تشويشاً من بين يديه، أو إساءة له بجهل أو بغير ذلك -في صور متعددة، ومرات متكررة-!!

(٢) انظر: «المرقاة في نهج السلف سبيل النجاة» لراقم هذه الحروف (ص٢١-٢٤).

والدِّين ممن شُهد له بالإمامة دون مَن رُمي ببدعة أو شُهِرَ بلقب غير مرضي ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٥٧-١٥٨): «ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسُّنَّة، وما اتفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة من جميع الطوائف: أنَّ خير هذه الأمة -في الأعمال، والأقوال، والاعتقاد، وغيرها من كل فضيلة- أن خيرها القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه[1]، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة -من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة-، وأنهم أوْلى بالبيان لكل مشكل؛ هذا لا يدفعه إلا مَن كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأضلَّه اللهُ على علم؛ كما قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد = أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[2]، وقال غيره: «عليكم بآثار مَن سلف، فإنهم جاءوا بما يكفي وما يشفي، ولم يحدث بعدهم خير كامِن لم يعلموه» اهـ.

٤- وعليه؛ فالطريقة المسلوكة الواجب الاعتزاء إليها وموافقتها -ظاهراً وباطناً-: «التمسك بما كان عليه [النَّبي ﷺ]، وخلفاؤه الراشدون -مِن الاعتقادات والأعمال والأقوال-، وهذه هي السُّنَّة الكاملة»[3].

٥- إذن؛ «فإن مذهب السَّلَف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً؛ فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً.

وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن؛ فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته، وتُوكَل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق

---

(١) روى: البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) (٢١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠)، وفي سنده ضعف، لكنّ شواهدَ معناه أجلُّ مِن أن تُحصى.

(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ١٢٠).

بطونهم ...»[1].

قلت: فهذا حال مَن وافقهم ظاهراً وباطناً أو ظاهراً فحسب! فما بال مَن خالفهم ظاهراً وباطناً، أو قل: ظاهراً...؟!

نقول لهم: «إن مذهب السَّلَف إن كان يعرف بالنقل عنهم فليرجع في ذلك إلى الآثار المنقولة عنهم، وإن كان إنما يعرف بالاستدلال المحض بأن يكون كل من رأى قولاً عنده هو الصواب، قال: «هذا قول السَّلَف؛ لأنَّ السَّلَف لا يقولون إلا الصَّواب، وهذا هو الصَّواب».

فهذا هو الذي يجرِّئ المبتدعة[2] على أن يزعم كل منهم: أنه على مذهب السَّلَف، فقائل هذا القول قد عاب نفسَهُ بنفسِهِ حيث انتحل مذهب السَّلَف بلا نقل عنهم، بل بدعواه: أن قوله هو الحق!

وأما أهل الحديث: فإنما يذكرون مذهب السَّلَف بالنقول المتواترة، يذكرون من نقل مذهبهم مِن علماء الإسلام، وتارة يروون نفس قولهم في هذا الباب»[3].

٦- ومن هنا -إذن-: فليأتِ لنا هؤلاء الخوارج والخوالف بأسلافهم، ولنأتِ بسلفنا -حياهم الله وبياهم: فأنعِم بهم مِن سلفٍ كرام، وأئمة عظام- شهروا ألوية السنة عبر القرون براً ونصحاً لأمتهم، ذابّين عن حياض السنة كل بدعة وتلبيس، معتَقِدين في ذلك أنه «مِن جنس المجاهد المنتصر، فالرادّ على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى [التميمي شيخ البخاري ومسلم (ت: ٢٢٦هـ) يقول: «الذبّ عن السنة أفضل من الجهاد»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢):

«ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسُّنَّة أو العبادات المخالفة للكتاب والسُّنَّة؛ فإنّ بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ١٤٩).

(٢) شأن الخوارج القدماء، وحَفَدَتِهم الجدد -من القطبيين والسروريين-، وشأن سائر أهل البدع: من مرجئة، وجهمية، ومعتزلة، وأشعرية،...

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٥١-١٥٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٣).

قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل.

فبيَّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك: واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً»اهـ.

وقال تلميذه البار ابن القيم في «التبيان في أقسام القرآن» (ص١٣٢):

«القلم الثاني عشر: القلم الجامع، وهو قلم الرد على المبطلين، ورفع سنَّة المحقِّين، وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيان تناقضهم، وتهافتهم، وخروجهم عن الحق، ودخولهم في الباطل، وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام، وأصحابه أهل الحجة الناصرون لما جاءت به الرسل، المحاربون لأعدائهم.

وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال.

وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل، وعدو لكل مخالف للرسل»اهـ.

٧- وهنا -معترك النزال والجدال- في ذم فرقة الخوارج الشنيعة:

(أ) «الخوارج فرقة ضلالة، ومذهبهم رديء باطل، وهم خارجون عن منهج أهل السُّنَّة والجماعة؛ وإن كنا لا نرى كفرهم أو تكفيرهم[1].

مع التنبيه -والتنبّه- إلى أنه قد وَرَدَ تكفيرهم[2] السَّلَف»[3].

قال الإمام الآجري في كتابه «الشريعة» (١/ ٣٢٥-٣٢٦):

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٢)، و(٧/ ٢١٧).

(٢) انظر: «المصدر السابق» (٢٨/ ٥٠٠).

(٣) «مجمل مسائل الإيمان ...» لأسرة تحرير مجلة الأصالة -مع آخرين مِن أهل العلم- (ص٥٥).

«لم يختلف العلماء -قديماً وحديثاً- أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله -تعالى- ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأوَّلون القرآن على ما يهوون، يموِّهون على المسلمين، وقد حذّر الله -تعالى- منهم، وحذّر النبي ﷺ، وحَذَّرَناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحَذَّرَناهم الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن تبعهم بإحسان.

والخوارج هم الشُّراة الأنجاس الأرجاس، ومَن كان على مذهبهم مِن سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب -قديماً وحديثاً-، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلّون قتل المسلمين»اهـ.

(ب) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٧٣-٤٧٤):

«وأما المبتدع فمثل ما أخرجا في «الصَّحيحين» [البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)] عن علي بن أبي طالب -وعن أبي سعيد الخدري- وغيرهما -دخل حديث بعضهم في بعض- أن النبي ﷺ كان يقسم، فجاءه رجل ناتئ الجبين كث اللحية، محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قال؛ فقال النبي ﷺ: «يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وفي رواية: «لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل»، وفي رواية: «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه».

قلت: فهؤلاء -مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة- أمر النبي ﷺ بقتْلِهم، وقَتَلَهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي ﷺ، وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته، وأظن أني ذكرتُ قولَ الشافعي: «لأن يُبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الأهواء».

فلما ظهر قُبح البدع في الإسلام، وأنها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنهم مبتدعون بدعاً منكرة فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر»اهـ.

وقال -أيضاً- (٢٨/ ٤٩٤-٤٩٧) -مختصراً-:

«ففي «الصَّحيحين» [البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) (١٥٤)] -واللفظ للبخاري- عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزّمان حُدَّاث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يَمرُقُ السَّهم من الرميَة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً يوم القيامة».

وفي «صحيح مسلم» [(١٠٦٦) (١٥٦)] عن زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي -رضي الله عنه- الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي: يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يَحسَبون أنه لهم وهو عليهم، لا تُجاوز صلاتهم تراقيهم، يَمرقون من الإسلام كما يَمرق السَّهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض». والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم؛ فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله (وذكر الحديث إلى آخره).

وفي «مسلم» [(١٠٦٦) (١٥٧)] -أيضاً- عن عبدالله بن رافع[1] كاتب علي -رضي الله عنه-، أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي قالوا: لا حكم إلا لله! فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إنَّ رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يُجاوز هذا منهم- وأشار إلى حلقه- مِن أبغض خلق الله إليه، منهم رجل أسود إحدى يديه طُبْيُ شاة أو حلمة ثدي،

(١) كذا في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٥)!

وفي «صحيح مسلم»: «عبيدالله بن أبي رافع»، وهو من كان كاتباً لعلي -رضي الله عنه-.

انظر: «الطبقات الكبير» لابن سعد (رقم١٧١٥)، و«تهذيب الكمال» للمزي (رقم٤٢٢١) و«تقريب التهذيب» لابن حجر (رقم٤٣٠٤).

فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا! فنظروا، فلم يَجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فوالله ما كذَبتُ ولا كُذِبْتُ -مرتين أو ثلاثاً-، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه»...

«وفي «الصَّحيحين» [البخاري (٣٦١٠، ٦١٦٣)، ومسلم (١٠٦٥) (١٤٨)] -أيضاً- عن أبي سعيد، قال: بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبدالله ذو الخويصرة التميمي -وفي رواية: أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم- فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: «ويلك! مَن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه، قال: «دعه! فإنَّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يَمرقون من الدِّين كما يَمرق السهم من الرميّة، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيّه -وهو قدحه- فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث الدم» ...

«وفي «الصَّحيحين» [البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٣)] في حديث أبي سعيد: «يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم، فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة؛ لاعتقادهم أنهم مرتدون أكثر مما يستحلّون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره.

وفي حديث أبي سعيد: أن النبي ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته: «يَخرجون في فرقة من الناس، سيماهم التحليق». قال: «هم شر الخلق، أو من شر الخلق، تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» [رواه مسلم (١٠٦٥) (١٤٩)].

وهذه السيّما سيما أولهم كما كان ذو الثدية؛ لأن هذا وصف لازم لهم»اهـ.

(ج) مجموع هذه العلامات والمعاني تشمل الخوارج الذين قتلهم علي -رضي الله عنه- وغيرهم ممن اتبعهم في غابر الأيام حتى يَخرج في أعراضهم الدجال[1].

---

(١) كما في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما مرفوعاً-: «ينشأ نَشْئٌ يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، كلما خرج فرق قُطِع، حتى يخرج في أعراضهم الدجال».

رواه ابن ماجه (١/ ٧٤)، وحسَّنه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٢٤٥٥) مترجماً له بـ: «استمرار خروج الخوارج».

=

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٥-٤٩٦):

«وهذه العلامة التي ذكرها النبي ﷺ هي علامة أول من يَخرج منهم، ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يَخرجون إلى زمن الدجال، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر.

وأيضاً فالصفات التي وصفها تعم غير ذلك العسكر؛ ولهذا كان الصحابة يروون الحديث مطلقاً ...».

وقال -أيضاً- (٢٨/ ٤٩٩):

«فهذه المعاني موجودة في أولئك القوم الذين قتلهم علي -رضي الله عنه- وفي غيرهم ...

وكذلك الخروج والمروق تناول كلّ مَن كان في معنى أولئك، ويَجب قتالهم بأمر النبي ﷺ، كما وجب قتال أولئك، وإن كان الخروج عن الدين والإسلام أنواعاً مختلفة»اهـ.

قلت: نعم، فالخروج درجات بل دركات وظلمات -إجمالها في ثلاث-:

أولاً: خروج عن السُّنّة وجادة السَّلَف.

ثانياً: خروج عن ولاة الأمر -من العلماء والأمراء-.

ثالثاً: خروج -بالتثوير والتشغيب- على أمة محمد -عليه الصلاة والسلام-.

فمروق من دين الإسلام!!

ومن هنا: كان أيوب السختياني يسمِّي أصحاب البدع خوارج، ويقول: «إنَّ الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف»[1].

ونتلمس حقائق هذه الظلمات والدركات -والتحذير منها- في تضاعيف كلام شيخ الإسلام الآتي في بيان أصل ضلال الخوارج وأشباههم.

وللبحث بقية ...

---

قلت: لاحظ قوله: (قُطِع)؛ فعل مبني للمجهول = الغرض منه وقوع الفعل المقتضي للتجدد والحدوث دون النظر لفاعله، والناظر في سننه سبحانه وتعالى عبر الدهور والعصور في شأن الخوارج؛ يجد أنه كلما خرجت شرذمة منهم؛ فرقها الله، وشتّت شملها، وقطع دابرها: إما بالحجة والبرهان على لسان العلماء، أو بالسيف والسنان على يد الأمراء، أو بهما معاً والله غالب على أمره!

ثم وقفتُ -بعدُ- على قول الإمام وهب بن منبه -رحمه الله- في «مناصحة الإمام وهب». (ص٢٠-٢١) حيث قال:

«فوالله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرّقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج»اهـ. -ولله الحمد-!

(١) رواه: الفريابي في «القدر» (٣٧٥)، والآجري في «الشريعة» (٢٠٥٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٩٠).

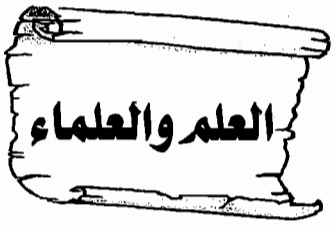


# ماذا يعني سكوت العلماء عند الفتن؟!

• بقلم: الشيخ أبي عبدالله فتحي بن محمد سلطان

التكليف بالواجبات الشرعيّة العلميّة والعمليّة مشروط بالممكن من العلم والقدرة؛ لهذا يتعيَّن حَملُ كلام العلماء الربانيّين أو سكوتهم على أفضل الوجوه؛ لا سيَّما توقفهم وسكوتهم في حال التمكّن والاشتباه؛ فممَّا تقرر في الشريعة: (جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة والتمكّن)، و(ما كلُّ حديث تحدَّث به العامّة)، و(من المسائل مسائل جوابها السكوت).

فالعالم ينظر إلى المآلات والعواقب، فيمسك عن الكلام -أحياناً- خشية الفتنة؛ كما قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه-: «ما أنت بمحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» [1]؛ ويُراعي -أيضاً- ضابط المصلحة، ومراعاة الأولويات، فهو في كلامه وسكوته يمر بمراحل ثلاث:

**الأولى:** هل الأولى السكوت، أو الأولى الكلام؟

**الثانية:** ثم هل الكلام على العموم، أم الكلام على الخصوص والتعيين؟

**الثالثة:** عدم إهمال جانب المصالح، والنَّظر إلى المآلات.

وقد أوضح الشَّاطبي -رحمه الله- هذا الأمر -عند حديثه- على أقسام العلم: منه ما هو مطلوب النَّشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره

(1) رواه مسلم.

بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال، أو وقت، أو شخص؛ فقال:

«وضابطه أنّك تعرض مسألتك على الشَّريعة، فإن صحت في ميزانها؛ فانظر في مآلها بالنِّسبة إلى حال الزَّمان وأهله، فإنْ لم يُؤَدِّ ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول[1]، فإنْ قَبِلَتْها؛ فلك أن تتكلم فيها: إمّا على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإمّا على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغُ؛ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعيّة والعقليّة» [2] ا. هـ.

والمقصود: أن العالم الرباني تتعدد أجوبته بحسب نوع المسألة أو النَّازلة، وبحسب حال السائل، فتارة يأمر، وتارة ينهى، وتارة ثالثة يسكت ويتوقف، وفي الصورة الأخيرة يقال: إن سكوت العلماء الربانيين الذين لهم لسان صدق في الأمَّة، وموافقة للسُّنّة المحضة في مواضع الفتن والاشتباه يعدُّ قرينة على أنّه لا يصلح الجواب إلا بالسكوت، فسكوتهم جواب لبيان الحال وما آلت إليه الأحوال؛ فمن المسائل مسائل جوابها السكوت، والمقصود هو تحصيل الخير ودفع الشر، والخوض في حال الفتن واشتباه الأمور لا فائدة منه -في الغالب-؛ بل هو يزيد الشر وينقص الخير، ويضيّع رأس المال في دائرة السعي إلى الأرباح، فما دام أنه ناقض مقصود الشريعة، فتركه هو المقصود.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا الأمر بياناً شافياً؛ فقال: «فالعالم تارة يأمر، وتارة ينهى، وتارة يبيح، وتارة يسكت عن الأمر أو النهي أو الإباحة؛ كالأمر بالصلاح الخالص، أو الراجح، أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح، وعند التعارض يرجح الراجح بحسب الإمكان، فأمّا إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن: إما لجهله، وإما لظلمه، ولا يمكن إزالة جهله وظلمه، فربما كان الأصلح الكفّ والإمساك عن أمره ونهيه، كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر

---

(1) أي: العقول المحكومة بالفطرة الصحيحة والشرعة المنزّلة.

(2) «الموافقات» (٥/ ١٧٢)، تحقيق أخينا الشيخ مشهور حسن.

بأشياء والنهي عن أشياء، حتى علا الإسلام وظهر.

فالعالم في البيان والبلاغ كذلك؛ قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التّمكن؛ كما أخر الله -سبحانه- إنزال الآيات، وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله ﷺ إلى بيانها» [1].

فظهر - من هذا- أن من أوجه جواب العالم: السُّكوت، والعالم لا يسكت إلا في حالتين:

**الحالة الأولى:** إذا كان السكوت هو الأصلح؛ فيقال: -آنذاك-: «من المسائل مسائل جوابها السكوت».

**الحالة الثانيّة:** أن يسكت العالم لعدم تمكنه من العلم بالمسألة أو النازلة؛ لا سيَّما إذا كانت من المباحث الجزئيّة الدّقيقة، أو أحياناً لعدم قدرته على الحق المشروع، وهو فيه معذور؛ وآنذاك يقال: «لا ينسب إلى ساكت جواب» .

والقول: إن سكوت العلماء في مواضع الفتن والملاحم[2] يعدُّ جواباً محرراً وقولاً محققاً، يحتاج إلى تأصيل وتعليل وتفصيل؛ لإنزال هذه القاعدة في محلها؛ لذلك احتاج المقام إلى بيان بعض الأمور:

**الأول:** أن العالم غالباً ما يُحذِّر ويتكلم عند إقبال الفتنة وقبل وقوعها؛ فإذا وقعت عجز عن الكلام وأمسك عن الخوض فيها[3] ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء عن دفع السفهاء، فصار الأكابر -رضي الله عنهم- عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها، وهذا شأن الفتن، كما قال -تعالى-: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥]، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله» [4] اهـ.

فالعالم يتكلم قبل وقوع الفتنة؛ فإذا وقعت سكت وأمسك؛ فهو يتحسَّس أسبابها قبل الوقوع، ويتفرس رجالها قبل الشروع، ويتبصَّر مقدماتها قبل فوات

---

(1) «المجموع» (٢٠/ ٥٨-٥٩)

(2) الفتن: ما يقع بين المسلمين من حروب واشتباه، أما الملاحم: فهي الحروب التي تقع بين المسلمين والكفار.

(3) فاللغة السائدة في الفتنة هي لغة الجهل والظلم، لا لغة العلم والعدل.

(4) «منهاج السنّة» (٤/ ٣٤٣).

الأوان؛ بخلاف غير العالم الذي لا ينشط إلا بعد وقوع الفتنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فلما قتل -رضي الله عنه- [أي: عثمان] تفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار، وذلَّ الأخيار، وسعى في الفتنة مَن كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحبُّ إقامته» [1].

**الأمر الثاني:** أنه إذا لم يكن للأمر والنَّهي مواضع قبول، وآذان صاغيّة عند المخاطبين؛ بل الضد من ذلك؛ فأنذاك يكون الكفُّ والإمساك عن الأمر والنَّهي هو الأصلح، ويشتغل المسلم بالممكن المستطاع، كما قال النبي ﷺ: «حتى إذا رأيت شحّاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرةً، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه، فعليك بخاصّة نفسك، ودع العوام» [2].

**الأمر الثالث:** أن هذه القاعدة تتنزّل عند تداخل الخير بالشر، والمنكر بالمعروف، والمصلحة بالمفسدة بالنسبة لبعض الأمور الجزئية المعيّنة؛ فتكون مصلحة السكوت راجحة على مصلحة الكلام؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عند كلامه على مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح أمر ولا نهي؛ حيث كان المعروف والمنكر متلازمين؛ وذلك في الأمور المعيّنة الواقعة» [3].

**الأمر الرابع:** ثم إنَّ العالم قد ينوِّع الجواب بحسب الحال فقد يتكلم مع طائفة ويسكت مع أخرى؛ لأن السكوت مع الأخيرة هو الأنفع والأصلح لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فإذا كان العلم (بهذه المسائل) قد يكون نافعاً وقد يكون ضاراً لبعض النّاس، تبيَّن لك أنَّ القول قد ينكَر في حال دون حال، ومع شخص دون شخص، وأن العالم قد يقول القولين

---

(1) «المجموع» (25/ 304) فتأمل كلامه يا رعاك الله.

(2) رواه الترمذي (3058) وأبو داود (4341)، وابن ماجه (4014)، عن أبي ثعلبة الخُشني.

(3) «المجموع» (28/ 130).

الصوابين، كلّ قول مع قوم؛ لأنّ ذلك هو الذي ينفعهم؛ مع أن القولين صحيحان لا منافاة بينهما؛ لكن قد يكون قولهما جميعاً فيه ضرر على الطائفتين؛ فلا يجمعهما إلا لمن لا يضره الجمع»[1].

**الأمر الخامس:** فإن سكوت العالم -أحياناً- يكون مناسباً عندما تتسيّس الآراء والمواقف، وتتحزّب الرجال على غير هدى من الله، وعندما ينطق الرويبضة، وعندما يحرص أهل الضلالة على تحجير دور العلماء، وعندما يكون مدار المنازعات على حظوظ دنيويّة وأغراض نفسيّة، فآنذاك يُعلم الفرق بين سكوت بعض العلماء وثرثرة كثيرٍ مِن الجهال.

وإذا تقرر أنّ السكوت: -أحياناً- يكون جواباً؛ ففرق بين السكوت الراجح، والتعطيل للعلم والدعوة، والعزلة المذمومة التي تفوّت على الناس مصالحهم ودينهم وعقيدتهم؛ فالعالم إذا سكت عن مسألة معيّنة لمصلحة راجحة؛ فهو قد اشتغل بغيرها -تعليماً وتصنيفاً-؛ فانتقل من المفضول إلى الفاضل؛ بعد إذ أدرك أن القيام بوظائف العبوديّة -ظاهراً وباطناً-، وإحياء السنن النبويّة، والتطبب بالأدوية القرآنيّة، والتّفقه على الآثار السلفيّة، فيه الغنية عن الخوض في الأمور المشتبه؛ والتّعلق بالمصالح المظنونة.

وبهذا يتبين أن السكوت -أحياناً- من صور الجواب الحكيم، فالموفق -في الفتن- يحسن الظن بالعلماء، ويعتبرهم من وسائل حفظ الشريعة، وهو لا يسأل عن مشروعيّة سكوتهم؛ بل يسألُ: لماذا سكتوا؟ ففرق بين السؤال عن مشروعيّة الفعل، وبين السؤال عن حكمة الفعل....

والحمد لله ربِّ العالمين.

(1) «المجموع» (٦/ ٥٩-٦٠).

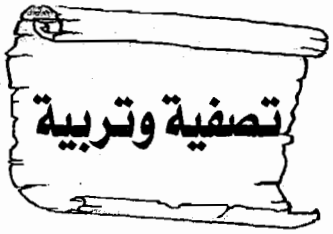


الحلقة الثانية

# أسباب ضعف المسلمين أمام عدوِّهم ووسائل العلاج لذلك

• سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-

وإذا عَلِمنَا الـدَّاء -وهـو بيِّـنٌ وواضح- وهو -كما علمنـا- غَلَبَـةُ الجَهل وعَدَمُ التعَلم والتفقه في الديـن والإعرَاضُ عن العِلْم الشَّرعي، ورضى بالعلوم الدُّنيَوية التي تؤهل للوظـائف فقط، غير العلوم التي تُوجِبُ الاسْتِغنَاءَ عن الأَعداء والقيام بأمر الله والبعد عن مَسَاخِطه -سبحانه-، وإنما هي عُلـومٌ قَاصِرةٌ ضَعيفة قصارها أن تُؤهل لِعَمـل عاجل دنيوي في بلاد الفَرد ودولته -إذا عُلِمَ ذلك فإن الواجب عِلاجُه بـالعِلْم الشَّرعي، إذ قَلَّ مَنْ يُعنَى بالعِلم النَّـافِع الذي جاءَ به المصطفى ﷺ، قَـلَّ مَـنْ يُعنَى بالإِعداد للأَعداء حتـى يَتَمَكَّـن ذلك الشَّعب وتلك الدولة من إيجاد مـا يُغْني عن الأَعداء.

فالدَّاء وَاضِحٌ بيِّن وهو مَكْون من عِـدَّةِ أدواء نَشَـأت عـن الجـهل، والإعراض والغفلة حتى صار المـوت مرهوباً، والدنيا مُؤْثَرَةً ومَرغُوباً فيـها، وحتى صَار الجهاد شَبَحاً مخيفاً لا يَقبَلُـه إلا القليل مِنَ الناس، وصـار الهـدف ليس لإعلاء كلمة الله، بل إمَّا لِقوميـة وإمَّا لِوَطَنية وإمَّا لأَشياءَ أُخـرى غَـيْر إعلاء كلمة الله وإظهار دينه والقَضـاء على ما خَالف ذلك.

فالإعداد ضَعيـــفٌ أو مَعــدوم والأَهداف مُنْحَرفة إلا ما شاء الله.

فطريق النجاح وطريــق التقــدم ضد الأَعداء وعَدَمُ الضَّعــف أمامــهم وطريق الفلاح والنجاح والحُصول على المقامات العَاليـــة والمطَــالب الرَّفيعَــة والنَّصرِ على الأَعداء، طريق كل ذلــك هو في الإقبَالِ على العِلْمِ النَّافع، والتفقه في الديــن وإيثــار مَرْضــاة الله علــى مَسَاخِطه، والعِنَايةُ بما أوجَب الله، وتَرْك ما حرم الله، والتوبة إلى الله مما وَقع مــن سالف الذنوب ومن التَّقصـــير: تَوْبــةً صادقة، والتعاون الكامل بين الدولـــة والشعب على ما يَجِبُ من طاعـــة الله ورسوله، والكف عن محارم الله -عـــز وجل- وعلى ما يَجِبُ أيضاً من إعــداد العُدَّة كما قال الله -سبحانه وتعـــالى-: ﴿وَأَعِـدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]. إلخ.

فلا بد من إعــداد العُــدَّة البدنيــة والمادية وسائر أنواع العُدَّة من جميع الوجوه حتى نَسْتغني بما أعطانا الله -سبحانه- عمـل عند أعدائِنا؛ فإنَّ قِتَالَ أَعْدَائِنـــا بمــا في أيديهم مِنَ الصَّعْبِ جداً الحُصول عليه، فإذا مَنَعَ العَدُوُّ عنك السِّـــلاح؛ فبــأي شيء تُقَاتِل؟! مع ضَعْف البَصيرة وقلــة العِلْم.

فلا بدَّ مــن إعــداد المســتطاع، ويَكفي المســـتطاع مــا دام المســلمون قاصدين الاستغناء عن عدوهم وجــهاد عدوهم واستنقاذ بلادهـــم، قــاصدين إقامة أمر الله في بـــلاد الله، قــاصدين الآخرة ما استطاعوا لكل ذلك.

فإن الله -سبحانه وتعالى- يقــول: ﴿ وَأَعِـدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:٦٠] الخ، ولم يَقُلْ: وأعدوا لهــم مِثْل قوتهم؛ لأَن هذا قد لا يُسْتَطَاع.

فإن صَدَقَ المسلمون وتكـــاتفوا، وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا من العُــدَّة ونَصَروا دين الله، فالله يعينهم وينصرهم -سبحانه وتعالى-، ويجعلهم أمـــام العــدو وفوق العدو، لا تحت العدو، يقول الله -وهو الصادق في قولـــه ووعــده-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧] والله لَيسَ بِعَاجِز ولا في حاجة إلى النـاس، ولكنه يَبتَلي عِبَادَه الأَخيار بالأَشْرَار لِيَعلـم صِدقَ الصَّادقين، وكَذِبَ الكاذبين، وليعلم المجاهد من غيره وليعلم الراغب في النجـاة من غيره، وإلا فهو القَادر على نَصر أوليائه وإهلاك أعدائه من دون حرب ومـن دون حاجة إلى جهاد وعُدَّة وغير ذلك، كما قال -سـبحانه -: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [محمد:٤]، وقال -سـبحانه- في سورة الأنفال في قصة بـدر: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ [الأنفال:١٠]، يعني إمدادهـم بـالمدد مـن الملائكة، وقال -سبحانه-: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠]، وفي آية آل عمران كذلك قـال -تعـالى-:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝﴾ [آل عمران:١٢٦] فالنصر من عنـده -جـل وعلا-، ولكنه -سـبحانه- جعـل المـدَّ بالملائكة، وما يعطي من السـلاح والمـال وكثرة الجند، كل ذلك من أسباب النصـر والتبشير والطمأنينة، وليس النَّصر مُعلقـاً بذلك، قـال -سـبحانه-:﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعـة عشر رجلاً، والسلاح قليل والمركـوب قليل، والمشهور أن الإبل كانت سـبعين، وكانوا يتعاقبونها، وكان السلاح قليـلاً، وليس معهم من الخيل في -المشـهور- سوى فرسين، وكان جيش الكفار حوالي الألـف، وعندهـم القـوة العظيمـة والسلاح الكثير، ولما أرادَ الله هزيمتـهم هَزَمُهم ولم تَنفَعْهُم قوتهم ولا جنودهم، وهَزَمَ الله الألف وما عندهم من القـوة العظيمة بالثلاثمائة وبضعة عشر ومـا عندهم من القوة الضعيفة، ولكن بِتَيْسير

الله ونصره وتـــأييده غلبـــوا ونصـــروا وأسروا مِنَ الكُفَّار سَبعين وقتلوا سبعين وهُزِمَ الباقون لا يلوي أحد على أحـــد وكل ذلك من آيات الله ونصره.

وفي يوم الأَحزاب غزا الكُفَّـــارُ المدينة بعشرة آلاف مُقَاتل من أصنـــاف العرب من قريش وغيرهم وحـــاصروا المدينة واتخذ النبي ﷺ الخَندق، وذلـــك من أسباب النَّصر الحسي، ومكثوا مـــدة وهم يُحَاصِرون المدينة، ثم أزالهـــم الله بغير قِتَال، فأَنزَل في قلوبـــهم الرُّعـــب وسَلَّطَ عليهم الرياح وجنوداً من عنـــده حتى لم يَقَرَّ لهم قَرار وانصرفوا خـــائِبين إلى بلادهم، وكل هذا من نصرة وتـــأييده -سبحانه وتعالى-، ثم خُذلوا فلم يغزوا النبي ﷺ بالمدينة، بل غزاهم هـــو يـــوم الحديبية وجرى الصلح المعروف، ثـــم غزاهم في السنة الثامنة في رمضان وفتح الله عليه مكة، ثم دخل الناس أفواجاً في دين الله بعد ذلك.

وللبحث بقية . . .

## قال ابن القيم -رحمه الله-:

**«إنَّ النبي ﷺ شرع لأمتـــه إيجاب إنكار المنكـــر ليحصل بإنكاره مِن المعروف ما يحبـــه اللهُ ورسولهُ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم مـــا هـــو أنكـــر منه، وأبغض إلى اللهِ ورسولهِ، فإنّـــه لا يســـوغ إنكـــاره، وإن كان اللهُ يبغضه ويمقتُ أهلَه، وهذا كالإنكار على الملـــوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كلِّ شرٍ وفتنةٍ إلى آخـــر الدّهر».**

[«إعلام الموقعين» (٤/ ٣٣٨)]

# كتابٌ، وكلمةٌ . . .

• بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

كَتَبَتِ (الأَصالةُ) -مشكورةً- في (مسك ختام) عددها الماضي كَلمةً حَسنةً حولَ كتابِ «رفْقاً أهلَ السُّنَّة بأهل السُّنَّة» لسماحةِ أستاذنا العلامة المحدِّث الشيخ عبدالمحسن بن حَمد العبَّاد البَدْر -نَسَباً ووصفاً- جزاه اللهُ خَيْرَ الجزاء-: تُثني عليه، وتمدحُهُ -وهو أهلٌ لذلك بحقٍّ-؛ فكانت كلمةً -بجُملتها- نافعةً للقُراء، ومفيدةً للألبّاء . . .

وَلَمّا كان كُلُّ كلامٍ -سوى كلامِ الكمالِ والعصمة- مُعَرَّضاً للنقص والنقد: رأيتُ -لزاماً- كتابةَ كلمةٍ -أخرى- تكون تكميلاً لكلمة (الأصالة)؛ التي هي مِنّا وإلينا -ولله الحمد-؛ فأقول:

**أولاً:** إنَّ هذا الكتاب النافعَ معدودٌ -ولا بُدَّ- في جُملة (النصيحة الشرعية)[1]؛ من عالمٍ جليلٍ كبير؛ يتنزَّه- بجميل علمهِ وكِبَرِ قَدْره- عن أغراض النّفوس، وأمراض القلوب -ولا نُزَكّيه على الله-؛ فهو -منه- في حيِّز الاجتهاد والثواب -لا غير-.

**ثانياً:** استغلالُ بعض أهل الشبهاتِ الكتابَ -ومضمونه- لتصفية حسابات معينة (مِن-إلى)، أو نَحو مقاصد خاصّة:

(١) وانتقادُ بعضِ فعائل أهل السُّنَّة -أفراداً- لا يرجعُ بالنّقضِ -أو النّقص- على عُموم أهل السُّنَّة -منهجاً وطريقاً-.
والخَلْطُ بين هذين الأمرين مُؤَدٍّ إلى فساد!! فتأمَّل.

أسلوبٌ مرفوضٌ؛ يجبُ الترفُّع عنه مِن كُلِّ منصفٍ نفسَه؛ ليضع الكتابَ في مكانِه الأساس: أصلاً لا فرعاً، وقاعدةً لا فصلاً...

**ثالثاً:** الكتاب -كسائر الكتب- عُرْضةٌ للردِّ؛ فما مِنّا إلا رادٌّ ومردود عليه؛ إلا النبي ﷺ.

وأهل السنّة يقدّرون علماءَهم، ولا يقَدِّسونهم.

**رابعاً:** ظهر لي -بعد تأمُّل- شيءٌ مِن الملاحظات على مُجْمَل الكتابِ -وبعضُها تكميليٌّ - بل قد أُخالِفُ في أشياءَ منها-؛ وهي:

١) لزوم وجود كلمة تأصيلية في أهميّة (الرد على المخالِف) -ولو كان من أهل السنة-.

نعم؛ بالشرط المعتبر - علماً وأدباً-؛ ليكون مُغْلِقاً على المقصّرين طريقَهم الباطلَ المبنيَّ على التهاون في الحقّ، والتّساهل في معاملة الخَلْق.

وليكون -في الوقت نفسِه- واجهةَ حقٍّ تَسُدُّ على الغُلاة ثَغْلَتَهم الكبير في تلقُّط الأخطاء، وتصيُّد العَثَرات . . .

٢) ذِكر (أهل السُّنّة) -هكذا!! بالعموم- جَعَلَ بعضَ الحِزبيِّين -مِن الإخوانيِّين، والسُّروريِّين، والتبليغيِّين- يدُسُّون أنوفَهم، ويحشُرون أنفسهم[1]

---

(١) بل إنَّ الغُلُوَّ الجاهلَ(!) قد دَفَع بعضَ أقوامٍ(!) إلى أن يُنازعونا في الانتساب إلى (السلفيّة)؛ حيث حَشَروا أنفسَهم بها؛ وهم في صنائعهم هذه -فضلاً عن تلك!!- أبعدُ النّاسِ عنها، وعن صفاء نهجها، ونقاء منهجها!!

فيقولون -أو يُقال فيهم-: (سلفية جهادية)! أو: (سلفيّة إصلاحية)!! بل زاد بعضُهم التضليلَ تضليلاً بأن قالوا: (سلفيّة علميّة)!!! وما هي -والله- مِن العلم في شيءٍ!!!

وإنّي لأحمدُ اللهَ -تعالى- على أنَّ في رؤوس السّاسة، وسادة الصّحافة بقيّةً مِن ذوي النَّصَفَةِ والعقل: لا يزالون يميِّزون بين (السلفيّة الحقّة) -بمنهجها الوضّاء- وبين هؤلاء المندسِّين -المُتستِّرين- بانتسابهم الباطلِ -هذا- وإلا -واللهِ- لاختلط الحابلُ بالنابل! والعالمُ بالجاهل!! ولتشوّهت صورةُ سلفيّتنا الحقّة -المتوارثة بين أهل العلم الربّانيِّن؛ جيلاً فجيلاً . . إلى مشايخنا الكبار: ابن باز، والألباني، وابن عُثيمين-؛ سلفيّة الأمن، والأمان، والإيمان . . .

بل إنّ هذه المنازعة(!) وصلت ذِرْوتَها في أُناس آخرين: لم يكتفوا بصنيع الأُوَل(!) بل سَلَبُونا هذه النّسبة، وأبَوْا أن يَنْظِمُونا في سِلْكها المشرق؛ لا لشيءٍ؛ إلا لأننا خالفناهم في شيءٍ مِن غلوائهم، أو رفضنا بعضاً من آرائهم المُفْرطة!!!

ضِمْنَ عنوان الشيخ!! وهم -يَقيناً- ليسوا ضِمْنَ مُراده -بارك الله فيه-.

فلو كان العنوان -مثلاً-: (رفقاً دعاةَ منهج السّلف بأنفسكم): لكان هذا مِن العناوين الدّالة -تماماً- على المضامين، وقطعاً لطرائق أولئك الخالفين المخالفين -غُلاةً ومميِّعين-.

٣) (الجرح والتعديل) علمٌ منضبط دقيق، فيه ثبات أهل السُّنَّة؛ وقوّةُ منهجهم، والنقضُ على مخالفهم، وقد قيل قديماً: (لولا حملة المحابر، وأصحاب الدفاتر: لخَطَبَتِ الزنادقة على المنابر).

فَذِكر أيِّ كلامٍ يُشْعِر بالتقليل مِن قدره -ولو بغير قصد- ينبغي أن يُغَيَّر إلى سواه، ويُنْقَل إلى ضدِّه ونقيضِهِ؛ ممّا يتضمّن تحقيق مهمة (عُدُول الأمة) ممّن ينفون عن العلم: (تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)، وهي أُصولُ أهداف علم (الجرح والتعديل) -سابقاً ولاحقاً- . . .

نعم؛ قد يدخل هذا العلمَ مَن ليس أهلَه! لكنَّ هذا لا يُسوِّغ الانتقاصَ منه، ولا التقليلَ مِن شأنِهِ ومكانتِهِ -ولو بغير قَصْد!-.

٤) ذِكرُ (رئاسة الإفتاء) -الموقّرة- في بلاد الحرمين- لِتكون المرجع الوحيدَ للسؤال عن الأشخاص أو الجماعات: أمرٌحسنٌ جيِّد؛ لكنّ الإلزامَ به لِعُموم المُسلمين في العالم عسرٌ، قد يكون صعبَ التحقيق -جدّاً-؛ وذلك من وجهين:

أ- أنّ (رئاسة الإفتاء) -الموقرة- هيئةٌ رسميّة تابعة لدولة إسلامية، ومثلها في ذلك -ولو مِن طَرَفٍ!- (إفتاء الأزهر)؛ فنخشى أنْ يكونَ الإلزامُ بها سبيلاً للإلزام بغيرها -من غيرها!-.

ولهذا سلبيّاتُهُ الشديدةُ التي لا تخفى!!

نعم؛ قد يكونُ ذلك نافعاً وكافياً لأهل بلاد الحرمين فيما بينهم -أنفسِهم-؛ لِما يتضمّنه هذا الحَدُّ مِن نفي هاتيك السلبيّاتِ المتوقّعة، فضلاً عن قطعِ هذا العبث الدائر -السائر- مِن بعض الجهاتِ -هناك-!!

بينما لو جَعَلْنا الحُجَّةَ -وحدَها- هي المُرَجِّحَةَ لقولِ أيِّ قائلٍ -هيئةً كان أم

---

والحمدُ لله ربِّ العالمين: أنَّ الدّعوةَ السلفيّةَ الحقّةَ لم تكن يوماً -ولن تكون- بإذن اللهِ- (شركة تجاريّة)! أو (هُويّة حزبيّة)!! وإنما هي دعوةٌ ربّانيّة؛ تستقي ماءَ وجودها مِن نبع الكتاب والسّنّة المَعين، ولا بقاء فيها إلا للهَدْي الصّافي الأمين.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

فرداً- في جميع بلاد المسلمين-: فهذا سبيلُ الحقِّ، وأهل الحقِّ، وهُو -في الوقت نفسِه- إغلاقٌ لذاك الطريق الوَعْرِ -السلبيِّ- المشار إليه -قَبْلُ-.

مع كُلِّ الاحترام والتقدير لـ(رئاسة الإفتاء) -المبجَّلة-، وغيرها من الهيئات العلميَّة المعتبرة.

ب- من قواعد العلم: (الحكم على الشيء فَرْعٌ عن تصوُّره)، وهذا أمرٌ لا يتحقّق صوابُ الإفتاءِ في ضَوْئِهِ -إلا مِن خلال التّواصُل التامّ-أو شبهه- بين (رئاسة الإفتاء) -من جهةٍ-، وبين أهل العلم وطلبَته -مِن أهل السنة ودُعاة منهج السَّلف - من جهة أخرى-؛ حتى يكونَ تصوُّر حقائق الأفراد والجماعات المسؤولِ عنهم -في سائر البلدان- على أقرب وُجُوه الصواب، وأدناها إلى الكمال. . .

وهذا أمْرٌ -فوا أسفاه- غيرُ مُتَحقِّقٍ على الوَجْهِ الكافي، وإنْ وُجِدَ منه شيءٌ: فليس هو المطلوب . . .

وعسى أن يتحقق على ما نرجو، وأن تزولَ عقباتُهُ، وتُحْمَدَ عَوَاقِبُهُ.

٥) ذَكَرَ سماحةُ شيخنا العبّاد -حفظه المولى- بعض العلماء الذين (مَضَوا وعندهم خلل في مسائل من العقيدة، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم . .)؛ ذاكراً منهم البيهقي، والنووي، وابن حجر العسقلاني . . .

ثم عَطَف -حفظه الله- مباشرةً- بقوله: (. . . ومِن المعاصرين: الشيخ العلامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني . . .) ..

ثم أثنى عليه (في العناية بالحديث وسَعَة الاطّلاع فيه)؛ مشيراً إلى أخطاء وقعت منه!! ذاكراً منها -زاده اللهُ توفيقاً- مثالَين على ذلك من أقوال شيخنا الألباني وترجيحاتهِ (الفقهيّة):

أولهما: أنَّ ستر وجه المرأة ليس بواجب.

ثانيهما: أن وضع اليدين على الصدر بعد الركوع بدعة ضلالة . . .

فأقول: هنا أمران:

**الأول:** أنَّ عطفَ اسمِ شيخِنا الألبانيِّ على مَن ذُكروا: مُوهِمٌ(!) باتِّحاد الوجه في النقد، وهو (الخلل في مسائل من العقيدة) . . مع أنه غيرُ مراد لشيخنا العبّاد -بتاتاً-.

**الثاني:** أنَّ شيخنا العبّاد -حفظه المولى- عقّب على المسألةِ الثانية -وضع اليدين على الصدر بعد الركوع- بقولِه: (وهي مسألة خلافية)!!

فـأقول لسـماحته -نفـع اللهُ بـه-: والأولى؛ أليست مسألةً خلافية -أيضاً-؟!

فكان ماذا؟!

وإنّي -واللهِ- لأعلمُ كم هي الصِّلةُ وثيقةٌ وعميقةٌ بين شَـيْخَيْنا الجليلَين -الألباني والعبّاد- منهجاً وعقيدةً؛ فكان الأَوْلى -عندي- والحالةُ هـذه- ضَـرْبُ المثالِ بغير شيخنا الألباني، أو -على الأقل- بغير هـاتين المسألتين! -إنْ وُجِدَ- !!

٦) ضَرَبَ الشيخُ -حفظه الله- مثلاً على (فتنة التجريح والهجر من بعض أهل السنة في هـذا العصر، وطريق السلامة منها)؛ بـ(إحدى الجمعيّات) الّتي يَنتقد شيئاً من مسالكها بعضُ المشايخِ والعُلماء -مِن أهل السُّنّة السَّنيَّة- . . .

ولئِن كان ذِكْرُ هذه (الجمعيّة) -في الرسالةِ- ليس صريحاً، بل على سبيل الإبهام؛ لكن الأذهانَ قد تذهب بتحديدها كُلَّ مجال، كُلٌّ بحسب ما يظنّ، أو يتوهّم . . . ممّا يفتحُ -ويفتحُ!- أبواباً من الظنون السيّئة -من جهة-، وأبواباً من زيادةِ الاختلاف والفُرقة -من جهة أخرى-، فضلاً عمّا قد يجري مِن استغلالٍ لكلام شـيخِنا العبّـاد -أو توجيهـه- إلى أو هنالك!!!

وهـذا -كلُّـه- نحـن في غِنـىً عنـه، وبخاصة في هذا الزمان العَسِير -بكـل ما فيه من تناقضات واضطرابات-!!

. . . وأخيراً:

إنَّ هذه الملاحظات لا تَخْرُجُ بالكتاب -البتّةَ- عن أن يظلَ مجموعُ محتواه (كلمة تُساوي ألفاً) -والله-.

والظـنُّ كبيرٌ -كبيرٌ- بِسَعَةِ صَـدْر أُستاذنا العَبّاد -أكرمه اللهُ- وجلالةِ حِلْمِهِ وعِلْمِـهِ-: في أن يَعـدَّ مـا عنـدي -هنـا- سبيلَ زيادةٍ لا انتقـاص، وائتـلافٍ لا افتراق؛ شعارُهُ حبُّ العلمِ وأهلِه، ونصرةُ السُّنّةِ وحَمَلَتِها.

ومَـن عنده على كلام أُستاذنا العبـاد -أيضـاً-أو علـى غـيره- أيُّ انتقـادٍ أو إيرادٍ: فليذكُـرْه بـالتي هـي أحسـنُ للّـتي أقومُ؛ تكميـلاً وتَتْمِيمـاً؛ ممّـا يليـق بمنزلـة سماحة أستاذنا الشـيخ العبّـاد -زاده اللهُ فضـلاً-، ومكانتـه اللائقـة بـه في العلـمِ والدين؛ وتطبيقاً لقاعدتهِ الذهبيّة الرّائدة: (رفْقاً دُعاة منهج السلَف بأنفسِكم) . . .

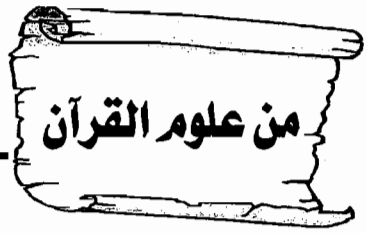


الحلقة الأولى

# قُرَّاء الأردن وفلسطين

• بقلم: الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

هذه نبذة مختصرة عن قراء الأردن وفلسطين ترجم لهم الإمام ابن الجزري -رحمه الله- في كتابه «غاية النهاية في طبقات القراء»، أردت بها الذكرى والتعريف بقراء الأردن وفلسطين، وأن مسيرة القراءة والإقراء والعناية بكتاب الله لقيت إقبالاً عظيماً في بلاد الشام عامّة، وفي الأردن وفلسطين خاصّة، ولذا ينبغي أن يستمر هذا العطاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفيه دعوة إلى المقصرين من أهل زماننا أن يعتنوا بكتاب الله -عزَّ وجل- تعلماً وتعليماً وحفظاً ودراسة ليحظوا بالخيريّة التي أخبر عنها الرسول ﷺ بقوله: «خيركم مَن تعلم القرآن وعلمه» [رواه البخاري]، وليكونوا مِن خاصّة أولياء الله حين يحظوا أن يكونوا من أهل الله وخاصّته؛ حيث قال ﷺ: «إن لله أهلين من الناس قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته».

وليرتفعوا في أعالي الجنّة حين يقال لقارئ القرآن «إقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدّنيا، فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وليقرؤا هذا القرآن آناء الليل وأطراف النهار ليكون شفيعاً لهم كما قال ﷺ: «اقرؤا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»، وأخبر أن (سورة

البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة).

إلى غير ذلك من فضائل للقرآن وحملته، ولنا مؤلف مستقل في ذلك، والحاصل أنَّ القرآن لا بُدّ من العناية به، وتعلمه، ومدارسته، والحفاظ عليه؛ لشدة تفلته من صدور أهله.

أسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصّته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والآن نشرح فيالمقصود، وبالله التوفيق.

**باب الألف:**

- إبراهيم بن زُقَّاعة بضم الزّاي وتشديد القاف، شيخ غزة مقرئ زاهد أديب، قرأ للسبعة على الشيخ أحمد الفلاح بغزة، والقاضي محمد بن سليمان الحكري ويونس الغزي، وأقرأ جماعةً بعض الرِّوايات، توفي سنة (بياض) وثمان مئة بغزة[1].

- إبراهيم بن أبي عبلة: واسمه شمر بن يقظان بن المرتحل أبو إسماعيل، وقيل: أبو إسحق، وقيل: أبو سعيد الشامي الدمشقي: ويقال: الرملي، ويقال: المقدسي. ثقة كبير، تابعي، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة، وفي صحة إسنادها إليه نظر.

أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى الأوصابيّة، قال: قرأت القرآن عليها سبع مرات.

وأخذ -أيضاً- عن واثلة بن الأسقع، ويقال أنه قرأ على الزهري، وروى عن أبي أمامة وأنس، وأخذ عنه الحروف موسى بن طارق، وابن أخيه هاني بن عبدالرحمن بن أبي عبلة، وكثير ابن مروان، وروى عنه مالك بن أنس، وابن المبارك، وخلف، ومن كلامه: «من حمل شاذ العلماء حمل شراً كبيراً».

توفي سنة إحدى وقيل اثنتين، وقيل ثلاث وخمسين ومئة[2].

- إبراهيم بن عثمان بن كامل البعلي شرف الدين(ت ٧٤٠) مقري مجوِّد قرأ القراءات على الموفق النسيبي، ببعلبك ثم رحل إلى بلده الخليل، وقرأ

(١) «غاية النهاية» ( ١/ ١٥/ ٥٣).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ١٩/ ٧٣).

على الشيخ برهان الدين الجعبري، وتفقه للشافعي، ورجع إلى بعلبك فتصدر لجامعها.

قرأ عليه يوسف بن الماشطة، وموسى بن شعث أبي الغيث، وابن الخويّرة، وبقي إلى بعد الأربعين وسبع مئة[1].

- إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس العلامة الأستاذ أبو محمد الربعي الجعبري السَّلفي بفتحتين نسبة إلى طريقة السلف (ت ٧٣٢).

محقق حاذق ثقة كبير ولد سنة أربعين وست مئة أو قبلها -تقريباً- بربض قلعة جعبر، وقرأ للسبعة على أبي الحسن علي الوجوهي صاحب (الفخر الموصلي)، وللعشرة على المنتجب حسين ابن حسن التكريتي صاحب ابن كدي.

قرأ عليه القراءات شيخنا أبو بكر الجندي وأحمد بن نِحلة سبط السلعوس، وإبراهيم البعلبكي الشاهد.

استوطن بلد الخليل -عليه أفضل الصلاة والسلام-، حتى توفي في ثالث عشر من شهر رمضان[2].

- أحمد بن زيدان أبو العباس المقري قال الذهبي: عن الداني أنه بغدادي، أقرأ الناس ببيت المقدس، أخذ القراءة عن أبي بكر بن مجاهد، وهو الذي لقنه القرآن، توفي سنة أربع عشرة وأربع مئة وعمره نيف على المئة، قاله لي: من قرأ عليه من أصحابه المغاربة، ثم قال الذهبي هذا مجهول لا يعرف روى عنه نكرة لا تتعرف، وكتبناه للفرجة وقد عاش بعد ابن مجاهد تسعين عاماً[3].

- أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر أبو عبدالرحمن النسائي الحافظ الكبير (ت٣٠٣)، روى القراءة عن أبي شعيب السوسي، وأحمد بن نصر النيسابوري، روى الحروف عنه محمد بن أحمد بن قطن الطحاوي والحسن بن رشيق المعدل[4].

(١) «المصدر السابق» (١/ ١٩/ ٧٣).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ٢١/ ٨٤).

(٣) «المصدر السابق» (١/ ٥٤-٥٥/ ٣٣٦).

(٤) «المصدر السابق» (١/ ٦١/ ٣٦٤).

- أحمد بن صالح بن عمر بن إسحق أبو بكر البغدادي (ت٣٥٠)، نزيل الرّملة، مقرئ ثقة ضابط حاذق، قرأ على الحسن بن الحباب، والحسن بن الحسين الصواف، ومحمد بن هارون التماد، وأبي بكر بن مجاهد، وابن شنبوذ، قرأ عليه عبدالباقي بن حسن، وعبدالمنعم ابن غلبون، وعلي بن بشر الأنطاكي[1].

- أحمد بن عبدالعزيز بن موسى بن عيسى أبو الفتح الخوارزمي الأصل ثم البغدادي الإمام، نزيل مصر، يُعرف بابن بدهن (ت ٣٥٩)، مشهور عارف متقن، اجتمع له حسن الصوت والأداء، قرأ على أحمد بن سهل الأشناني، وسعيد ابن عبدالرحيم الضرير، ومحمد بن موسى الزيني، وابن مجاهد -وهو أحذق أصحابه-، قرأ عليه عبيد الله بن عمر القيسي، ومحمد بن الحسن النعمان، وعبدالمنعم بن غلبون -سماعاً-، وابنه طاهر بن عبدالمنعم.

توفي ببيت المقدس[2].

- أحمد بن عثمان بن محرز كذا ذكره أبو العز القلانسي، وذكره في موضع آخر أحمد بن عثمان بن محمد أبو بكر الرملي، روى القراءة عن محمد بن عمر البصري، وزكريا بن وردان عن الكسائي، روى عنه القراءة عبدالعزيز بن عمر الحلبي[3].

- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الحنبلي القدسي المعروف (بابن المهندس)، رحل وسمع الحديث، وقرأ بنفسه، وحصّل أصولاً وكتباً، قرأ للسبعة على محمد بن سليمان الحكري -قاضي الرملة-، وبدمشق للعشرة على ابن اللبان، وعاد إلى القدس وترك القراءة، ولم يُقرئ أحداً، ولو أقرأ لنفع وانتفع![4]

- أحمد بن محمد بن بلال أبو الحسن البغدادي نزيل الرملة، إمام في قراءة أهل الشام، قرأ على أحمد بن جعفر ابن المنادي، ومحمد بن أحمد بن محمد أبي الحسن -لا أعرفهما-.

---

(١) «المصدر السابق» (١/ ٦٢/ ٣٦٦).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ٦٨/ ٣٠٠).

(٣) «المصدر السابق» (١/ ٨١/ ٣٦٨).

(٤) «المصدر السابق» (١/ ١٠٣/ ٤٧٥).

ولا يصح سمع الحروف من أبي مزاحم الخاقاني، قرأ عليه أبو الطيب عبدالمنعم بن غلبون[1].

- أحمد بن محمد بن زكريا أبو العباس النسوي شيخ مقرئ صالح، قرأ على عليٍّ بن أحمد بن صالح بن حماد القزويني عن الحسين بن مهران، قرأ عليه الإمام أبو الفضل عبدالرحمن بن أحمد الرازي بمكة، قال: وأعدت عليه بعضاً ببيت المقدس في قبة الصخرة من المسجد الأقصى[2].

- أحمد بن محمد بن عبدالولي بن جبارة الإمام أبو العباس المقدسي ثم الصالحي الحنبلي، نزيل القدس الشريف وشارح الشاطبية (ت ٧٢٨)، ولد سنة سبع أو ثمان وأربعين وست مئة، ورحل إلى القاهرة، فقرأ بها على الشيخ حسن الراشدي، وقرأ النحو على ابن النحاس، والأصول على القرافي، ثم قدم دمشق فأقام بها مدة بالصالحيّة، ثُمَّ تحول إلى القدس الشريف، وشرح القصيدتين اللامية والرائيّة.

قرأ عليه الشريف أحمد بن القرمي، وعبدالله بن سليمان المراكشي، وعبدالرحمن بن أبي بكر الكركي، توفي فجأة في رجب بالقدس عن ثمانين سنة[3].

- أحمد بن محمد بن علي أبو بكر الهروي الضّرير (ت ٤٨٩)، ولد سنة خمس وأربع مئة، وقدم دمشق فقرأ بها على أبي علي الأهوازي رشا ابن نظيف، وألّف كتاباً في القراءات الثمان سماه «التذكرة».

قرأ عليه أبو بكر عبدالله بن عمر الدوزباري وإبراهيم بن حمزة الجرجاني، توفي بالقدس الشريف[4].

- أحمد بن محمد بن محمد بن عياش صاحبنا أبو العباس الدمشقي، فاضل كامل مقرئ خيِّر صالح دين، أخذ السبع من شيخنا أبي المعالي محمد بن

(١) «المصدر السابق» (١/ ١٠٨/ ٤٩٨).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ١١٥/ ٥٣١).

(٣) «المصدر السابق» (١/ ١٢٢/ ٥٦٥).

(٤) «المصدر السابق» (١/ ١٢٥/ ٥٧٩).

أحمد بن اللبان، وأبي محمد عبدالوهاب ابن السلار.

قرأ عليه السبع صدقة بن سلامة الضرير، ثم رحل إلى مصر فقرأ ختمة بالعشر على أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد العسقلاني وعاد إلى دمشق فأقرأ بها وبالقدس والخليل وغير ذلك[1].

- أحمد بن محمد بن يحيى بن نحلة بحاء مهملة المعروف (بسبط السلعوس) (ت ٧٣٢)، أستاذٌ ماهر ورع صالح، ولد سنة سبع وثمانين وست مئة، قرأ بدمشق على ابن بضحان، ومحمد بن أحمد بن ظاهر البالسي، ثم رحل إلى القاهرة وقرأ بها على أبي حيان لعاصم، ثُمَّ على الصايغ بمضمن كتب، ثم قرأ القراءات على الجعبري بالخليل وعلى بن جبارة بالقدس، قرأ عليه شيوخنا محمد بن احمد ابن اللبان، وأحمد بن إبراهيم بن الطحان، والنصير محمد بن محمد بن إبراهيم الجزري.

مات بدمشق وشيعه خلق[2].

- أحمد بن نعمة بن سالم أبو العباس النابلسي الحنبلي (ت ٧٤٧)، أستاذٌ ماهر، قرأ على النور علي بن يوسف الشطنوفي، قرأ عليه شيخنا شمس الدين محمد بن عبدالقادر الحنبلي النابلسي، توفي عائداً من دمشق بجنين في رابع عشر من رجب وحمل إلى نابلس ودفن بها[3].

- أحمد الفلاح هو أحمد بن الضرير -كما في ترجمة رقم ٧٤٤ ص:١٦٠- (ت٧٧٠)، شيخ غزة، مقرئ متصدر، رأيته بغزة سنة تسع وستين وأنا متوجه إلى مصر، فرأيته يستحضر قراءات السبعة، سألني عن قراءة يعقوب (أن نقضي إليك وحيه)، وأخبرني أنّه قرأ القراءات على العماد إسماعيل الكردي لّما كان قاضي غزة، ثُمَّ على الشمس محمد بن أحمد الرقي بدمشق، قرأ عليه الشيخ إبراهيم بن زقاعة، وأحمد الغروبي[4].

---

(١) «المصدر السابق» (١/ ١٢٨/ ٦٠٣).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ١٣٣/ ٦٢١).

(٣) «المصدر السابق» (١/ ١٤٦/ ٦٧٨).

(٤) «المصدر السابق» (١/ ١٥٣/ ٧١٥).

- إسماعيل بن إبراهيم بن داود أبو الفداء الكردي البكاري الشافعي، إمام مقرئ كامل (ت٧٤٣).

قرأ على الشهاب الحسين بن سليمان الكفري، وأحمد بن محمد الحراني، والمجد أبو بكر بن القاسم التونسي، وأبو بكر بن محمد بن أبي شامة الجعبري، ثم ولي مشيخة الإقراء الكبرى بالتربة العادلية، ثم قضاء غزة، قرا عليه محمد بن اللبان، وأحمد بن ضرير المعروف (بالفلاح) -شيخ غزة-، ونصر الله بن البابي[1].

**باب الحاء:**

- الحسين بن حامد بن حسين التبريزي المعروف بـ(بيرو) (ت ٨٠١)، مقرئ ماهر، قدم علينا دمشق وقرأ بها السبع على شيخنا ابن اللبان، ثم توجه إلى بلاده، ثم قدمها بعد ذلك فقرأ يسيراً على ابن السلار، وتوجه إلى القدس فأقام بها يقرئ[2].

**باب الخاء:**

خالد بن يزيد بن صبيح أبو هاشم المزي (ت ١٦٦)، قاضي البلقاء، ثقة، روى القراءة عن عبدالله بن عامر، وروى القراءة عن الوليد بن مسلم[3].

- خلف بن قاسم بن سهل الحافظ أبو القاسم بن الدباغ الأندلسي (ت ٣٩٣) ولد سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، ورحل فقرأ بالرملة على أحمد بن صالح صاحب ابن مجاهد، وأبي بكر محمد بن عبدالله بن أشتة بمصر، أخذ عنه عمرو الداني وأبو عمر بن عبدالبر[4].

(١) «المصدر السابق» (١/ ١٦٠/ ٧٤٤).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ٢٣٩-٢٤٠/ ١٠٩٧).

(٣) «المصدر السابق» (١/ ٢٦٩/ ١٢١٩).

(٤) «المصدر السابق» (٢٧٢/ ١٢٣١).

**باب الدال:**

- دانيال بن منكلي بن صرفا القاضي الضياء أبو الفضائل الكركي التركماني الشافعي (ت ٧٩٦)، قاضي الشوبك ولد سنة سبع عشرة وست مئة، ثم قدم إلى دمشق فقرأ بها على السخاوي وكان مقرئاً فقيهاً فاضلاً، توفي بالشوبك[١].

**باب السين:**

- سليمان بن سالم بن عبدالناصر القدسي أبو الربيع الشافعي القاضي بغزة والخليل والقدس، قرأ للسبعة على الشهاب الحسين بن سليمان الكفري، وروى الشاطبيّة سماعاً عن أحمد بن سليمان بن مروان البعلبكي عن السخاوي، رواها عنه سماعاً الفخر عثمان بن عبدالرحمن المقرئ إمام جامع الأزهر[٢].

**باب الصاد:**

- صالح بن محمد بن صالح أبو محمد الصرخدي (ت ٧٩٦)، مقرئ ناقل خير، ولد بعد الأربعين وسبع مئة، حفظ «الكفاية» في العشر لابن مؤمن، وتلا بها مفرداً وجامعاً على شيخنا ابن اللبان، وصحب سيدي الشيخ أبا بكر الموصلي، ولازمه وانتفع به، وكان قد ترك له والده بصرخد دنيا، فوقف الجميع على مدرسة أنشأها هناك وانقطع للعبادة والتسبب وملازمة الشيخ أبي بكر حتى توفي ليلة الجمعة منتصف شوال بالقدس، وصُلي عليه بعد الجمعة ودفن بمقبرة ماملا[٣].

وللبحث بقية . . .

(١) «المصدر السابق» (١/ ٢٧٨/ ١٢٤٧).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ٣١٤/ ١٣٧٩).

(٣) «المصدر السابق» (١/ ٣٤٤/ ١٤٥٢).

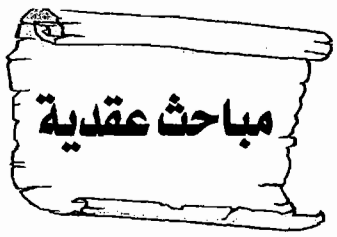


❖ الحلقة الرابعة

# الفرق بين الصغيرة والكبيرة

## وبيان الآثار المترتبة على ذلك

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

اعلم أن الوعيدية[1] يتفرع لهم على هذه المسألة[2] جواز لعن أهل الكبائر من دون توقف على دليل خاص، وكذلك منع الترحم عليهم، ولذا منعوا الترضية عن باغي الصحابة كمعاوية -رضي الله عنه-.

ونحن نقول: هما حكمان شرعيان، فيؤخذان من الأدلة الشرعية، فأما الترحم والترضي وسائر الأدعية لهم فجائزة؛ لأنها من الشفاعة لهم، ولم يرد منع كما في الكفار، بل دخلوا في العمومات؛ مثل قوله -تعالى- حكاية عن نوح -عليه السلام-: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ

(١) هم من الخوارج، يقولون بنفاذ وعد الله ووعيده، وبخلود أصحاب الكبائر في النار، وينكرون الشفاعة، ويراد بهم الخوارج والمعتزلة على الخصوص. انظر عنهم: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/ ١٠٤ و ٧/ ٤٨٦ و ٢٠ / ١٠٤، ١١٠-١١١)، و «الجواب الصحيح» (١/ ٧٤).

(٢) وهي مسألة دخول صاحب الكبيرة تحت المشيئة الإلهيّة.

لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح:٢٨]، وعن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم:٤١]، وأمر -تعالى- خاتم الأنبياء ﷺ بقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩]، وسمى الله البغاة مؤمنين بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات:١٠]، والوصف ثابت لكلّ من اتصف بالإيمان قبل فعله الكبيرة، ولم يخرجوا عنه بدليل، وأمر الله -تعالى- بالدعاء للوالدين ولم يستثن إلا المشركين، فلا وجه لمنع الترضية على البغاة مع تسليم كبره كيف مع منعه، سيّما مع دعوى الشبهة؟! وأما اللعنُ فالأصل منعه؛ لأنه إضرارٌ بالغير، وطلبٌ للإضرار به، ولم يرد جوازه لكلّ صاحب كبيرة، فلا يجوز ذلك إلا بالتوقيف، وقد ورد إما لعنُ صاحبِ الكبيرة؛ كلعن الله من عَمِلِ عَمَلَ قومِ لوط، وإما لعن من لم يُعلم كِبَرُ معصيته؛ فكلعن الله الواصلة والمستوصلة ونحو ذلك، فيجوز لعن صاحب تلك المعصية مُعيّناً وغير معيّن، لا كما زعمه متفقهةٌ من الشافعية وسيأتي، ومع جواز لعنه يترحم عليه، واللعن جائز والترحم مندوب إليه.

وظن فقهاء الزيدية أن حكم البابين من ضروريات الدين، نعم هو من ضروريات دين آبائهم، وأما دين محمد ﷺ فهذا الكتاب والسنّة: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧]، اللهم زدنا هدى واحفظ علينا حق المسلمين والإسلام يا ذا الجلال والإكرام [1].

قال أبو عبيدة: الكلام في أثر الكبيرة على الأعمال طويل، وله ذيول، وينبني عليه استطرادات وتوجيهات للنصوص الشرعية ومناقشاتٌ، والذي نقلناه فيه تحريرٌ وتدقيقٌ، ونَفَسُ فقيه.

---

(١) «العلم الشامخ» ( ص ٥٧ - ٥٨ ).

بقي ذكر تأصيل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في التفرقة، فله كلام فيه استطراد بديع، مع نقضٍ لبعض الحدود، نذكره بطوله لأهميته، وهذا نص السؤال والجواب:

«وسئل عن الذنوب الكبائر المذكورة في القرآن، والحديث: هل لها حدٌّ تعرف به؟ وهل قول من قال: إنها سبعٌ، أو سبعة عشر، صحيحاً؟ أو قول من قال: إنها ما اتفقت فيها الشرائع -أعني على تحريمها-؟ أو أنها ما تسد باب المعرفة بالله؟ أو أنها ما تُذهِبُ الأموال والأبدان؟ أو أنها إنما سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها؟ أو أنها لا تُعلمُ أصلاً، وأبهِمَت كليلة القدر؟ أو ما يحكي بعضهم أنّها إلى السبعين أقرب، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، أو أنها ما رُتِّب عليها حدٌّ، أو ما تُوُعّد بالنار؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. أمثل الأقوال في هذه المسألة: القول المأثور عن ابن عباس، وذكره أبو عبيد، وأحمد بن حنبل، وغيرهما؛ وهو: أن الصغيرة ما دون الحدّين، وحدٌّ الآخرة. وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في الدنيا، وهو معنى قول القائل: كل ذنبٍ خُتم بلعنة، أو غضب، أو نار، فهو من الكبائر.

ومعنى قول القائل: وليس فيها حدٌّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة؛ أي: وعيد خاص؛ كالوعيد بالنار، والغضب، واللعنة، وذلك لأن الوعيد الخاصّ في الآخرة، كالعقوبة الخاصة في الدنيا، فكما أنه يُفرّقُ في العقوبات المشروعة المقدّرة بالقطع، والقتل، وجلد مئة، أو ثمانين، وبين العقوبات التي ليست بمقدرة: وهي التعزير، فكذلك يفرّق في العقوبات التي يعزِّر الله بها العباد -في غير أمر العباد بها- بين العقوبات المقدرة: كالغضب، واللعنة، والنار، وبين العقوبات المطلقة.

وهذا الضابط يَسْلَمْ من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخُلُ كلُّ ما ثبت في النص أنه كبيرة، كالشّرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير

ذلك من الكبائر التي فيها عقوباتٌ مقدرةٌ مشروعةٌ، وكالفِرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور؛ فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص، كما قال في الفرار من الزحف: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال:١٦]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء:١٠]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد:٢٥]، وقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد:٢٢-٢٣]، وقال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧٧].

وكذلك كلُّ ذنب تُوُعِّدَ صاحبه بأنه لا يدخل الجنّة، ولا يشم رائحة الجنّة، وقيل فيه: من فعله فليس منا، وأنّ صاحبه آثمٌ، فهذه كلُّها من الكبائر؛ كقوله ﷺ: «لا يدخل الجنّة قاطع»، وقوله: «لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرةٍ من كِبر»، وقوله: «من غشّنا فليس منّا»، وقوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا

يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفعُ الناسُ إليها فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

وذلك لأن نفي الإيمان، وكونه ليس من المؤمنين، ليس المراد به ما يقوله المرجئة: إنه ليس من خيارنا؛ فإنه لو ترك ذلك لم يلزم أن يكون من خيارهم، وليس المراد ما يقوله الخوارج: أنه صار كافراً، ولا ما يقوله المعتزلة: من أنه لم يبقى معه من الإيمان شيء، بل هو مستحق للخلود في النار لا يخرج منها، فهذه كلُّها أقوال باطلة، قد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع.

ولكنّ المؤمن المطلق في باب الوعد والوعيد، وهو المستحق لدخول الجنّة بلا عقاب: هو المؤدي للفرائض، المجتنبُ المحارمَ، وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق، فمن فعل هذه الكبائر لم يكن من هؤلاء المؤمنين، إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة، وهذا معنى قول من قال: أراد به نفي حقيقة الإيمان، أو نفي كمال الإيمان، فإنهم لم يريدوا نفي الكمال المستحب، فإن نفي الكمال المستحب لا يوجب الذمّ والوعيد، والفقهاء يقولون: الغسل ينقسم إلى: كامل، ومجزئ، ثم من عدل عن الكامل إلى المجزئ لم يكن مذموماً.

فمن أراد بقوله: نفي كمال الإيمان؛ إنه نفي الكمال المستحب، فقد غلط، وهو يشبه قول المرجئة، ولكن يقتضي نفي الكمال الواجب، وهذا مطّرِد في سائر ما نفاه الله ورسوله؛ مثل قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤]، ومثل الحديث المأثور: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»، ومثل قوله ﷺ: «لا صلاة إلا بأم القرآن» [1]،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤) في «صحيحيهما» من حديث عبادة ابن الصامت -رضي الله عنه-

وأمثال ذلك؛ فإنه لا ينفي مسمى الاسم إلا لانتفاء بعض ما يجب في ذلك؛ لا لانتفاء بعض مستحباته، فيفيد هذا الكلام أن من فعل ذلك فقد ترك الواجب الذي لا يتم الإيمان الواجب إلا به، وإن كان معه بعض الإيمان، فإن الإيمان يتبعض ويتفاضل، كما قال ﷺ: «يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان» [1].

والمقصود هنا: أنّ نفي الإيمان والجنّة، أو كونه من المؤمنين، لا يكون إلا عن كبيرة، أما الصغائر فلا تنفي هذا الاسم والحكم عن صاحبها بمجردها، فيعرف أن هذا النفي لا يكون لترك مستحب، ولا لفعل صغيرة، بل لفعل كبيرة.

وإنما قلنا هذا: إن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف، بخلاف تلك الضوابط؛ فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة، وإنما قالها بعض من تكلم في شيء من الكلام أو التصوف بغير دليل شرعي، وأما من قال من السلف: «إنها إلى سبعين أقرب منها إلى سبع»، فهذا لا يخالف ما ذكرناه، وسنتكلم عليها -إن شاء الله- واحداً واحداً.

الثاني: أن الله قال: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء:٣١]، فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات، واستحقاق الوعيد الكريم، وكلُّ من وُعِد بغضب الله أو لعنته، أو نار أو حرمان جنّة، أو ما يقتضي ذلك؛ فإنه خارج عن هذا الوعد، فلا يكون من مجتنبي الكبائر، وكذلك من استحق أن يُقام عليه الحدُّ، لم تكن سيئاته مكفرةً عنه باجتناب الكبائر، إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يُعاقب عليه،

(١) قطعة من حديث أبي سعيد الطويل، أخرجه البخاري (٤٥٨١، ٤٩١٩، ٧٤٣٩، ٦٥٧٤، ٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٣) بعد (٣٠٢).

والمستحق أن يقام عليه الحدُّ لـه ذنـب يستحق العقوبة عليه.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعـه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب؛ فـهو حد يُتَلقى من خطاب الشـارع، ومـا سوى ذلك ليس مُتَلقى من كـلام الله ورسوله، بل هو قول رأي القائل وذوقه من غير دليل شرعي، والرأي والـذوق بدون دليل شرعي لا يجوز.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفـرق به بين الكبائر والصغائر، وأمـا تلـك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبـائر والصغائر؛ لأن تلك الصفات لا دليـل عليها؛ لأن الفرق بين ما اتفقت عليـه الشرائع واختلفت لا يعلم إن لم يمكـن وجود عالم بتلك الشرائع على وجهـها، وهذا غير معلوم لنا.

وكذلك ما يسد باب المعرفة هو مـن الأمور النسبية والإضافية، فقد يُسَدُّ باب المعرفة عن زيدٍ ما لا يُسَدُّ عن عمـرو، وليس لذلك حدٌّ محدود.

الخامس: أن تلك الأقوال فاسـدة، فقول من قال: إنها ما اتفقت الشـرائع على تحريمه، دون مـا اختلفـت فيـه، يوجب أن تكون الحبة من مال اليتيـم، ومـن السـرقةِ، والخيانـةِ، والكذبـةُ الواحدةُ، وبعضُ الإسـاءات الخفيـة، ونحو ذلك كبيرةٌ، وان يكون الفرار مـن الزحف ليس من الكبائر؛ إذِ الجـهاد لم يجب في كل شريعة! وكذلك يقتضي أن يكون الـتزوج بالمحرمـات بالرضاعـة والصّهر وغيرهما ليس من الكبائر؛ لأنه مما لم تتفق عليه الشرائع! وكذلك إمساك المرأة بعد الطلاق الثلاث، ووطؤها بعـد ذلك، مع اعتقاد التحريم!

وكذلك من قال: إنها ما تسد بـاب المعرفة، أو ذهاب النفوس والأمـوال، يوجب أن يكون القليلُ مـن الغضـب والخيانة كبـيرة، وأن يكـون عقـوق الوالدين، وقطيعـة الرحـم، وشـربُ الخمر، وأكل الميتـة، ولحـم الخـنزير، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنـات، ونحو ذلك ليس من الكبائر!

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسـبة إلى ما دونها، وأن ما عُصي الله به فـهو كبيرة، فإنه يوجب ألا تكون الذنوب في

نفسها تنقسم إلى كبائر و صغائر، وهذا خلاف القرآن، فإن الله قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم:٣٢]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشورى:٣٧]، وقال: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١]، وقال: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف:٤٩]، وقال: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر:٥٣].

والأحاديث كثيرة في الذنوب الكبائر.

ومن قال: هي سبعةَ عشر، فهو قول بلا دليل.

ومن قال: إنها مبهمة، أو غير معلومة، فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها.

ومن قال: أنه ما تُوُعِّدَ عليه بالنار، قد يقال: إن فيه تقصيراً؛ إذ الوعيد قد يكون بالنار، وقد يكون بغيرها، وقد يقال: إن كل وعيد فلا بد أن يستلزم الوعيد بالنار.

وأما من قال: إنها كل ذنب فيه وعيد، فهذا يندرج فيما ذكره السلف؛ فإن كل ذنب فيه حد في الدنيا ففيه وعيد من غير عكس، فإن الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وقذف المحصنات، ونحو ذلك فيها وعيد، كمن قال: إن الكبيرة ما فيها وعيد، والله أعلم »[1]. انتهى كلامه -رحمه الله-.

وللبحث بقية . . .

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٦٥٠-٦٥٧).

❖ الحلقة الأولى

# منهج الإمام الطبري في كتابه

## «تهذيب الآثار، وتفصيل معنى الثابت عن رسول الله من الأخبار»

• بقلم: الشيخ أكرم بن محمد زيادة

قد كان من نعمة الله وفضله، أن حبَّبَ الله -تعالى- إليَّ النظر في كتب الحديث والسنة والأثر، وإدامة وإنعام النظر فيها، وكان أن يسر الله -تعالى- لي دراسة وتدريس «مقدمة التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الإتقان» للسيوطي، وغيرها من كتب تتعلق بعلوم القرآن، قبل الشروع بدراسة وتدريس «جامع البيان في تأويل آي القرآن» للإمام الطبري -رحمه الله تعالى-.

وكان من نتيجة ذلك أن كتبت بحثاً قصيراً بعنوان «منهج الطبري في التفسير» نَشَرتْهُ مشكورة مجلة «الأصالة» السلفية في عددها (الرابع والعشرين) الصادر في شهر (شوال) سنة (عشرين وأربعمائة وألف)هـ.

ثم بعد أن شرعت في دراسة وتدريس الكتاب المذكور لمعت في ذهني فكرة الترجمة لشيوخ الإمام النحرير (محمد بن جرير الطبري)؛ لأن كثيراً من شيوخه الذين روى عنهم، لم أقف لهم على ذكر في كتب الرجال والتراجم والحديث والأثر، المشهورة المتداولة، وخاصة شيوخه من أهل بلده (الآمليين).

ولما علمت بأنه لم يقم أحد من أهل العلم بعد الطبري، بالترجمة لرجاله، وشيوخه، أخذت ذلك على عاتقي، وبعد استشارة إخواني من أهل العلم في

أردننا المحروس، وغيره من أقطار الإسلام والذين أرشدوني ووجّهوني -جزاهم الله خيراً- إلى كثير من الأمور التي اقتنصت منها فوائد، ساعدتني على إخراج ذلك المعجم الكبير، والذي أخرجته في ثلاثة كتب أسميت أولها: «معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في (التفسير)، و(التاريخ)، و(تهذيب الآثار)، و(صريح السنة)»، وأسميت الثاني: «المعجم الصغير لشيوخ الطبري ابن جرير».

**وأما الثالث فأسميته**: «المعجم الكبير لرجال الطبري ابن جرير»، يسر الله نشرها بعد أن يسر -سبحانه- إتمامها.

ولما تكرم الإخوة الأفاضل؛ (أبو عبيدة، مشهور بن حسن آل سلمان)، و(أبو أسامة، سليم بن عيد الهلالي)، بالتقديم لذلك الكتاب بعد مراجعته، أشارا عليَّ بأن أدرس كتاب «تهذيب الآثار» للطبري، وأن أكتب في منهجه فيه، على غرار ما كنت كتبته في منهجه في «التفسير»؛ فبادرت إلى ذلك التوجيه الكريم، وقمت بدراسة الكتاب دراسة إحصائية، تحليلية،متأنية، حتى أضع بين يدي طلاب العلم، عامة وأهل الحديث والأثر منهم خاصة، دراسة واضحة سهلة؛ لمنهج الإمام الطبري في تأليفه لكتاب «تهذيب الآثار» الذي وصفه ياقوت الحموي، (٥٧٤-٦٢٦هـ)، في كتابه «معجم الأدباء» (٦/ ٤٤٨) بقوله: «وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله، وتصعب عليهم تتمته».

ووصفه تاج الدين السبكي (٧٢٧-٧٧١هـ)، في كتابه «طبقات الشافعية» (٣/ ١٢١) بقوله: «وابتدأ تصنيف كتاب (تهذيب الآثار )، وهو من عجائب كُتُبه»، والذي وصفه الشيخان الفاضلان الشيخ مشهور بن حسن، والشيخ سليم الهلالي بأنه: «لغز».

فبادرتُ -مُستعيناً بالله- لِحلِّ «اللغز» -قدر طاقتي- وتجلية أمْرِه لأهل العلم، وطلبته، عسى الله أن يتقبل ذلك مني بقبول حسن، وأن يجعل له عند إخواني من طلبة العلم وأهله، قبولاً حسناً.

وقد وقفتُ على ثلاث نسخ مطبوعة، متفرقة، ومتنوعة من كتاب ابن جرير «تهذيب الآثار».

**الأولى:** وهي في ثلاث مجلدات، والتي حققها الشيخ محمود شاكر -رحمه الله تعالى- وهي صادرة عن مطبعة المدني، والمؤسسة السعودية بمصر، بلا تاريخ نشر، والظاهر أنه خلال سنة (١٤٠٢) هجرية، والموافق (١٩٨٢) ميلادية.

**والثانية:** وهي في أربع مجلدات، والتي حقق المجلدين الأولين منها، الدكتور (ناصر بن سعد الرشيد)، و(عبدالقيوم عبدالرب النبي)، ثم انفرد الدكتور (ناصر بن سعد الرشيد) بتحقيق المجلدين الأخيرين منها، وقد طبع الجزءان الأوليان منها في مطابع الصفا -مكة المكرمة- دون ذكر التاريخ، والظاهر أنه قبل سنة (١٤٠٢هـ)، أما الآخران فطبعا في مطابع الصفا -مكة المكرمة- أيضاً سنة (١٤٠٤هـ).

**والثالثة:** وهي التي قام الأخ مشهور بإعارتي إياها، وهي التي سماها محققها، والمعلق عليها، الشيخ (علي رضا) «الجزء المفقود من تهذيب الآثار»، والصادرة عن دار المأمون للتراث، سنة (١٤١٦هـ)-(١٩٩٥م)، وهي في مجلدة واحدة.

وبدأتُ بدراسة الكتاب أولاً بِدِراسَة شيوخ الطبري الذين روى عنهم فيه، والذين أفْرَدتُهم بفهرس خاص في كتابي «معجم شيوخ الطبري»، حيث بلغ عدد شيوخه الذين روى عنهم فيه نحو (ثمان وعشرين ومائتي) شيخ بقسميه: الموجود، والذي كان مفقوداً!!

ثم شرعتُ في دراسة الكتاب ابتداءً من مقدمات المُحققين له، رغم تعددهم، وتنوع أساليبهم!!، حيث خَلُصْتُ إلى ما يلي:

١- أن الكتاب ناقص من أصله حيث توفي الإمام الطبري قبل أن يتمّه.

٢- أن النسخ المخطوطة التي رجع إليها المحققون لنصوص الكتاب ناقصة أيضاً، وفيها خروم في عدة مواضع منها؛ من أولها، أو آخرها، أو وسطها.

٣- أن النسخ الخطية منه قديمة نسبية، وقد كتبت قبل بداية القرن الخامس الهجري إلى نهايته وربما بعضها كتب في القرن السادس.

٤- أن هناك قطعاً من الكتاب لا زالت مفقودة، أو دفينة في ركاز

المخطوطات التي لا تطالها أيدي الباحثين الفقراء، في مكتبات (أوروبا) والغرب خاصة، وسائر مكتبات ومتاحف المخطوطات في العالم عموماً، ومنها مكتبات البلاد الإسلامية والعربية.

٥- أن العمل في الكتاب كان بحسب تحصيل مخطوطاته، وليس على ترتيب مؤلفه (ابن جرير).

٦- أن أحكام الأحاديث والآثار التي فيه لم تستوعب؛ بل أن أكثرها لم يُخَرَّج أصلاً، ولم يتكلم عليه من ناقد بصير -عدا الطبري طبعاً- وأن كثيراً منها مما تعرض للنقد، والتمحيص، وإصدار الأحكام! كانت تلك الأحكام قاصرة بوجه، أو بآخر.

٧- أن فكرة تتميم الكتاب كانت تراود تلاميذ الطبري قديماً، ومنهم تلميذه النجيب الحافظ، أبو بكر، أحمد ابن كامل بن خلف القاضي البغدادي (٢٦٠-٣٥٠ هـ) الذي قال: «لم أر بعدَ أبي جعفر أجمعَ للعلم وكتب العلماء، ومعرفة اختلاف الفقهاء، وتمكنه من العلوم منه؛ لأني أروض نفسي في عمل «مسند عبدالله بن مسعود» في حديث منه، نظير ما عمله أبو جعفر، فما أحسن عمله، ولا يستوي لي».

٨- وأما حديثاً، فالنظر والكتابة في منهج الإمام الطبري، أمنية -كانت ولا زالت- تراود أهل الحديث، والسنة، والأثر من علماء عصرنا، كما شرح ذلك واعتذر عن الإدلاء فيه بدلوه (الشيخ محمود شاكر) في «مقدمته في تحقيق مسند علي» في نحو عشر صفحات من مقدمته المذكورة (ص:١٠-٢٠).

وقد ذكر شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- ذلك أكثر من مرة في كتبه، ومنها على سبيل المثال -لا الحصر- إشارته -رحمه الله تعالى- في «الضعيفة» (٨/ ٧٥/ ٤٠٧٦) إلى منهج الطبري في تصحيحه للأخبار والآثار؛ واعتماده على المعنى اللغوي، عند انعدام، أو ضعف الألفاظ والمعاني الحديثية، والأثرية.

وقال -رحمة الله تعالى على روحه- في «الضعيفة» (٩/ ٢٦٣/ ٢٦٦): «ومن عجائب الطبري، التي عرفناها حديثاً في

كتابه المذكور -«التهذيب»- أنه يصحح إسناد هذا الحديث ثم يعله بقوله: ثوير ابن أبي فاختة، عندهم ممن لا يحتج بحديثه!» انتهى.

مما يشعر أن الشيخ -رحمه الله- كان يتمعن ويمعن النظر في منهج الطبري في كتابه كعادته -رحمه الله تعالى- في سائر كتب الحديث والأثر، مما حمله على إظهار تعجبه ذلك.

ومنها ما سقته آنفاً، نقلاً عن الأخوين الفاضلين، والشيخين الجليلين؛ (فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان)، و (فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي)، بأنه: «لغز».

وعلى هذا فسأشرع في بيان منهج الطبري وحل «لغزه» فيه -على قدر طاقتي- وعلى ترتيب ما خرج من الكتاب إلى عالم المطبوعات؛ لا على ترتيب المؤلف له، وسأعتمد في نقل أرقام الأحاديث، والصفحات، والأجزاء على النسخة التي حققها الشيخ محمود شاكر، لأنها أتم وأدق، من النسخة الأخرى.

وقد وجدتُ أن الإمام الطبري قد رَتَّبَ كتابه على طريقة (المسانيد)؛ لا على طريقة (الأبواب)، وقد شرح (الشيخ محمود شاكر) ذلك الترتيب في «مقدمته على مسند علي» (ص:٩) حيث أخرج في الجزء الأول من كتابه -المطبوع طبعاً-، ما تبقى من مسند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه-، والذي حوى (ستة وعشرين حديثاً) فصل القول في بيانها وشرحها (بثمان وأربعين وأربعمائة) حديث، أو أثر، حسب طبعة مطبعة المدني، و(بثمان وثمانين وأربعمائة) حديث أو أثر غيرها؛ حسب طبعة (الدكتور الرشيد)، وأما ما بين الطبعتين من فارق وهو ما يقدر (بأربعين حديثاً) تكررت في ثنايا طبعة المدني.

وقد دَلَّنا الحديث الأول منه أن هناك خرماً في أول مسند علي حيث قال الطبري -رحمه الله تعالى-: «ذكر ما لم يمض ذكره من أخبار ثعلبة بن يزيد الحِمَّاني عن علي -رضوان الله عليه- عن النبي ﷺ».

والحديث الأول بطريقيه، وما تبعه من متابعات عن تسعة من الصحابة -رضي الله عنهم- في الإبانة عن حال أهل الجاهلية الأولى، تقتضي تنبيه المسلمين، إلى وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، ثم رد شبهات واعتراضات المتشائمين وغيرهم، مما يؤكد عقيدة الطبري السنية السلفية في القدر، ومخالفته للقدرية، والجبرية على حد سواء.

**أولاً**: ذكر الخبر بسنده عن علي، من طريق ثعلبة بن يزيد الحماني، من طريقتين فقال (ص:٣):

١-١-١ - «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون بن المغيرة، قال: حدثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ثعلبة بن يزيد الحِمَّاني، قال: سمعت علياً يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا صفر، ولا هامة، ولا يعدي سقيم صحيحاً»، قلت: أأنت سمعت هذا من النبي ﷺ؟ قال: نعم». ثم ساق له متابعة نزل فيها درجة في إسناده فقال (ص:٤):

١-٢-١ -«وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا عبدالله بن الجهم، قال: حدثنا عمرو بن قيس عن سفيان» به؛ مثله.

**ثانياً**: حكم على الحديث فقال (ص:٤): «وهذا خبر عندنا صحيح سنده، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيماً غير صحيح».

**ثالثاً**: شرعَ في الحديث عن عِلله بما يُنَبِّئك أنه عارف بالعلل، خبير بها، حاذق بمعرفة الرجال، بصير بهم، فقال: (ص:٤): «وذلك أنه خبر لا يعرف له مخرج عن علي، عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد وجب التثبت فيه».

**رابعاً**: أجمل في ذكر طرق أخرى للحديث عن حبيب، عن ثعلبة من رجال في نقلهم نظر، فقال (ص:٤): «وقد حدث هذا الحديث عن حبيب بن أبي ثابت، عن ثعلبة، غير سفيان، غير أن في أسانيد بعضها، بعض من في نقله نظر».

وللبحث بقية . . .

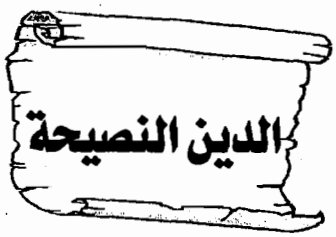


❖ الحلقة الأولى

# نظـــرات تصحيحيّـــة في المســـيرة الدّعويـــة

● بقلم: أبي العالية فخرالدين بن محمد الزبير

في لحظات من التوتر العاطفي الذي يَنتَابُ قُلوبَ كثيرٍ مِنَ الصَّادقين تتطلع النفوس وتَشْرئبُّ الأَعناق لِسماع كلماتٍ يَجعلُ الله فيها شفاء لِعليلهم وإرواءً لغليلهم، ولكن يخالط ذلك شيءٌ من السَّآمة من كثرة القيل والقال مع بقاء الحال على ذاتِ الحال، فقد تشابكت حلقات الفتن، وتتابعت أصناف المحن مما حتَّم على دعاة السنة أن تكون مشاركتهم علميَّة عمليَّة، وقوليَّة فعليَّة لترسو سفينة الدعوة على شاطئ الأمان وبرّ السلامة، وتحافظ على معالم العزِّ والكرامة، وهذا بالطبع يحتاج إلى جهدٍ كبيرٍ وزمن غير يسير، فتطفُّلاً على موائد الدعاة أردتُ تسطير هذه الكلمات اكتساباً للقربة إلى الله وإجابة لطلب بعض الإخوة الفُضَلاء.

وهي عبارة عن خواطر إيمانية ونصائح وعظيَّة خَرجتْ من خاطرٍ مكدورٍ وقلبٍ مفطورٍ وهي مع ذلك نظرات علميَّة وتقعيدات شرعية لا أظنها مَحلَّ خلاف بين حَمَلة السنة من حيث التأصيلات، ولكن الخلل يَحصُل في التعامل معها من حيث التطبيقات، فأَذكرها كما عَنْونتُها ثم أتابع بعدُ تحليلها علميّاً، والتدليل عليها شرعيّاً، واللهَ أسأل أن يجعل لها الأَثر عند أولي الأثر بل وعند كل ذي نظر، وهي كما يلي:

١) مسؤولية التغيير أمانة في أعناق الجميع.

٢) الدعوة على قاعدة العلم والرحمة.

٣) خصُّ العلم قوماً دون قوم.

٤) الزم غرز أهل العلم.

٥) كن تابعاً لا متبوعاً.

٦) لسانك إما غانم أو سالم أو غارم.

٧) ما خرج لن يعود.

٨) كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.

٩) إياك وردودَ الأفعالِ.

١٠) لا يجبُ عليك أن تأخذ موقفاً في كل فتنة.

١١) المنهج بين الغلو والإجحاف.

١٢) الجرح والتعديل صراع بين الورع والهوى.

١٣) مصايد الأجوبة.

١٤) الموازنة بين النظرة المثاليَّة والواقعيَّة الحاليَّة.

١٥) لسانُ الحالِ أبلغُ من لسانِ المقالِ.

١٦) كذلك كنتم من قبل.

١٧) لا تلازم بين الرد والتحذير ولا الخلاف والافتراق.

١٨) انتقاص القوم سبب لِخساسة الهمم.

١٩) السلفيَّة ومفهوم التجديد.

٢٠) قدّم الأهم فالأهم.

٢١) اشتغل بالمتفق عليه قبل المختلف فيه.

٢٢) قولك صواب يحتمل الخطأ.

٢٣) اعرف قدرك وارفق بنفسك.

٢٤) اتهم نفسك وتعاهد قلبك.

. . . نبدأ -بإذن الله- في تعليق الخواطر والنظرات كإشاراتٍ تستوعبُ جُملاً من الإلماحات التي تُغني عن كثيرٍ من العبارات لينتفعَ القراء من الألباء الذين تفيدهم الإشارة وتغنيهم عن تَطْويل العبارة.

**أولاً: مسؤوليةُ التَّغيير أمانة في أعناق الجميع:**

أول خطوة جادة لا بد أن يخطوها الدعاة خاصة والمسلمون عامة أن يتأصّلوا في قاعدة ربانية في السنن والأسباب وهي قوله -تعالى-:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِم ﴾، فالخطوة الأولى أنْ تستشعر أنَّ مسؤولية التَّغيير أمانة في أعناق الجميع فلا يُغيّر الله حال أمّة إلا إذا غيّر الأفراد حالهم ظاهراً وباطناً ظاهراً بإصلاح الأفعال وإحسان

الأقوال، وباطناً بتصحيح الاعتقادات وتقويم الإرادات ومعاهدة النيَّات، ولا تكفي مجرد الشعارات والتنظيرات، فالله يَنظُرُ إلى القلوب والأعمال، ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥].

ولا بد من التنبه إلى أن من تغيير النفس حب الخير للغير «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحِبُّ لنفسهمن الخير» وقد قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة:١٠٥]، وتمام الهداية أمركم بالخير وحرصكم على هداية الغير فإن فعلتم ذلك، وبلغتم جهدكم فيما هنالك لم يضركم من ضل وخالفكم،﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ [فاطر:٨]، وفي أبي داود والترمذي أن أبا بكر -رضي الله عنه- قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها؛ وإنا سمعنا النَّبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب».

فإذاً؛ لا بد أن تُعاد الثقة بك بصفتك فرداً في أمة مؤثر فيها، ولبنة في مبانيها، ولا تقولن: ما يفيد تغييري لنفسي -على المفهوم السابق- وإصلاحي لها أمام هذا الزخم الهائل من الفتن؟!

فإن هذه المقالة مصيدة شيطانيَّة وتلبيسةٌ إبليسيَّة تعيق مسيرة الإصلاح، وبداية السبيل قطرة.

وتأمّل في حال الصفوة المختارة الذين أصلح الله بهم مسيرة التاريخ؛ كيف استشعروا هذه المسؤولية؟! ففي اللحظة الأولى التي التمسوا فيها الداء سعوا حثيثاً في سبيل تحقيق الدواء؛ فهذا أبو ذر -رضي الله عنه- في اللحظة التي تغيّرت نفسه فانشرح فيها صدره للإيمان وأضاء قلبه بالتوحيد، قال لرسول الله ﷺ: «والذي بعثك بالحق لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم» فهذا تمام الهداية، وهذا الطفيل الدوسي في لحظته التي ذاق فيها طعم الإيمان وتغلغل في سويداء فؤاده

ذهب إلى قومه بشيراً ونذيراً متحققاً بحقيقة التغيير، فعصت وأبت، فقال: يا رسول الله: «إن دوساً هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم، فرفع رسول الله ﷺ، يديه وقال: اللهم اهد دوساً وأت بهم» فأتى الله بهم. فكان الطفيل سبباً لتغييرهم.

بل تأمل فيما هو أعجب من ذلك: هدهد سليمان الذي شعر بالداء وكان سبباً في توصيل الدواء، وحصول الشفاء فقال مقالة المسؤولية -مع وجود تلك المملكة الضخمة من الجن والإنس والطير-: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل:٢٢-٢٦]، ثم أخذ كتاب التوحيد فألقاه إليهم فكان مع ضعفه سبباً رئيساً في التغيير وما أحسن ما قال القائل:

أطاعن خيالاً من فوارسها الدهر
وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ

فهذه هي خطوة التصحيح الأولى؛ إذا رآها الله فينا أعاننا عليها أما مع غير ذلك فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾، ولكن على أي شيء تبنى قاعدة التغيير؟ انتقل معي إلى الخاطرة الثانية:

**ثانياً: الدعوة على قاعدة العلم والرحمة:**

وهاتان هما الركيزتان اللتان لا بد أن تبنى عليهما مسيرة الدعوة فلا ترفع الدعوة رأساً، ولا تضع أسّاً، ولا ترد بأساً إلا بالعلم:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨]، فبالعلم تُقدَّر المصالح

والمفاسد، وبه يُفرَّق بين الوسائل والمقاصد فلا يختلط الحابل بالنابل، وضده بضده فبالجهل يشتبه الحق بالباطل ويلتبس المليء بالعاطل، وهذه من أعظم الآفات في مسيرة الدعاة، فأعظم ما يكدِّر صفو الدعوة التباس الباطل بلبوس الحق، وتزيي الكذب بزي الصدق، ولا ينجلي ذلك إلا بالعلم ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٥]، وفي (سبيل) قراءتان: فعلى قراءة رفع «سبيل»: يكون نفس تفصيل الآيات فيه استبانةٌ لسبيل المجرمين، وعلى قراءة النصب: يكون تفصيل الآيات وفهم الحجج والبينات وسيلة تهديك إلى استبانة سبيل المجرمين، وكلاهما مؤدٍّ إلى المراد ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٣] فدرعك علمك وسلاحك معرفتك وهذا في غاية الوضوح.

وأمَّا الرَّحمة فهي حقيقة النبوة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، «إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ»: فحقيقة الرحمة الحرص على هداية الخلق والشفقة عليهم مع دوام الرفق «فما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»؛ فحقيقة الدعوة ألا تتكلم إلا برحمة ولا تفعل إلا برحمة حرصاً على الخير للبعيد والصديق واختياراً لأقوم وأهدى طريق؛ فإن لم يكن سبيلٌ إلا الشدَّة بصورها فذاك بقدر وهو خلاف الأصل المقرر ولا تكون إلا في النادر.

فقسا ليزدجروا ومن يك راحماً
فليقس أحياناً على من يرحم

فالمؤمنون بحق هم المتراحمون فيما بينهم ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]، «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد»، وخُلُقُ الرَّحمة يَحملك على إحسان الظنِّ بأخيك والتماس الأعذار له وستر عيبه وصون عرضه ونصحه بنيَّة إصلاحه والأخذ بيده كما قال ﷺ: «والمؤمن

مرآة المؤمن يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» [صحيح الجامع].

فلا تعيير ولا هدم ولا بتر ولا إسقاط ولا تحقير بأدنى تقصير؛ فالأصل فيمن عدت سقطاته أن «لا تعينوا عليه الشيطان»، بل يرحم.

ونماذج ذلك في زمن النبوة كثير، والواقع الدعوي يشهد افتقاراً عظيماً لهذه الخصلة التي هي أول خصال النبوة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]، و «الرحماء يرحمهم الله»، وقد علمت حديث رسول الله: «العلماء ورثة الأنبياء» فإذا تصورت ما سبق وضممته لهذا الحديث تبين لك بجلاء التلازم بين العلم والرّحمة فهما كجناحين يحلق بهما داعية الخير؛ لذلك جمع الله بينهما في موضوعين من كتابه في الكهف ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:٦٥]، فبدأ بالرحمة لأنها الوعاء الذي يصب فيه العلم، وفي غافر ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧]، فامتن الله على رسوله بالعلم والرحمة وامتن على نبيه الخضر بهما وتوسلت حملة العرش بصفتي الرحمة والعلم في الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والهداية والجنّة.

وهذه هي مطالب الداعية التي يرجوها لنفسه، فالعلم والرحمة ميراث النبوة وهما زاد الداعي إلى الله لذلك كانت من نفائس شيخ الإسلام ابن تيمية الغالية: «أهل السنة أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق» فكن على ذكر من هذه الكلمات التي جال بها الخاطر فقيَّدها العلم في هذه الأخلاق من الدفاتر والله الموفق.

وللبحث بيقة . . .

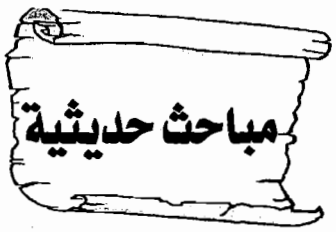


❖ الحلقة الثالثة

# إعلامُ النَّبيهِ بتضعيف روايات: ( وأبيك ) أو ( وأبيه )

• بقلم: الوليد بن نبيه بن سيف النصر

**الحديث الثالث:**

قال أحمد: حدثنا إسماعيل: حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي إسحق: حدثني رجل من بني غفار -في مجلس سالم بن عبدالله-: حدثني فلان: أن النبي ﷺ أُتي بطعام من خبز ولحم، فقال: «ناولني الذراع»، فنوول الذراع فأكلها.

قال يحيى: لا أعلمه إلا هكذا، ثم قال: «ناولني الذراع»، فنوول الذراع فأكلها، ثم قال: «ناولني الذراع» فقال: يا رسول الله! إنما هما ذراعان!، فقال: «وأبيك لو سكتّ ما زلت أناول منها ذراعاً ما دعوت به».

فقال سالم: أما هذه فلا، سمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله -تبارك وتعالى- ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»[1].

وفيه هذا المبهم، ويحيى بن أبي كثير متهم بالتدليس، وقد عنعن، ولو صح فقد ردّ وأنكر سالم -رحمه الله- هذه

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٨).

اللفظة التي فيها الحلف بغير الله، مما يدل على نكارتها.

على أن الحديث مروي بغيرها من حديث أبي هريرة:

فعن أبي هريرة قال: ذبحت لرسول الله ﷺ، فقال: «ناولني الذراع» فناولته، ثم قال: «ناولني الذراع» فناولته، ثم قال: «ناولني الذراع» قلت: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، قال: «أما إنك لو ابتغيته لوجدته»[1].

**الحديث الرابع:**

وأخرج البيهقي من طريق أبي بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي: ثنا أبو قلابة عبدالملك بن محمد الرقاشي: ثنا يعقوب بن إسحق الحضرمي: ثنا حماد بن سلمة أبي العُشَراء الدارمي عن أبيه، أنه قال: يا رسول الله ! أما تكون الذكاة إلا في الحلق واللبة ؟، قال: «وأبيك لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك».

قال البيهقي: هذا في المتردي وأشباهه[2].

(منكر)

تابع عفانُ وهو ابن مسلم، يعقوبَ بن إسحق الحضرمي على لفظه (وأبيك) عند أحمد، وتابعه كذلك عبدُالأعلى بن حماد النرسي عند الخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٣٧٧).

**العلة الأولى هي:**

مخالفة جمع من الأئمة الثقات الأثبات لهم، فلم يزيدوا القسم المذكور (وأبيك)، منهم:

---

(١) صحيح لغيره: رواه ابن حبان (١٤/ ٤٠٣ - ح ٦٤٨٤)، والنسائي في «الكبرى» (ح ٦٦٥٩)، وهو حسن الإسناد لأجل محمد بن عجلان.

وله شواهد من حديث أبي عبيد رواه الدارمي (٤٤)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (١٤٣)، وفيه شهر بن حوشب بلفظ: «والذي نفسي بيده لوسكت لناولتني الذراع ما دعوت»، وهذا القسم موافق ليمينه ﷺ الذي كان يحلف بها عادة.

وله شاهد آخر من حديث عبدالرحمن بن أبي رافع عن عمّته عن أبي رافع مرفوعاً به نحوه وليس في شيء منها القسم المذكور، رواه أحمد (٦ / ٣٩٢، ٨)، بلفظ: «لو سكت لناولتني منها ما دعوت».

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٣٤)، والبيهقي في «سننه» ٩/ ٢٤٦).

١- وكيع بن الجراح، عند أحمد (٤/ ٣٣٤)، والترمذي (١٤٨١)، وابن ماجه (ح ٣١٨٤).

٢- هدبة بن خالد، عند أحمد.

٣- إبراهيم بن الحجاج، عند أحمد.

٤- حوثرة بن أشرس، عند أحمد.

٥- أحمد بن يونس، عند أبي داود (ح ٢٨٢٥).

٦- عبدالرحمن وهو ابن مهدي عند النسائي في «المجتبى» (ح ٤٤٠٨)، وفي «الكبرى» (٣/ ٦٣ -ح ٤٤٩٧).

٧- يزيد بن هارون، عند الترمذي (ح ١٤٨١).

٨- سفيان الثوري، عند الطبراني (ح ٦٧٢٠).

٩- حمّاد بن زيد، عند الطبراني (ح ٦٧٢١).

١٠، ١١، ١٢ - حجاج بن المنهال، وعارم أبو النعمان، وأسد بن موسى، عند الطبراني (ح٦٧١٩).

١٣- مالك بن أنس، عند أبي نعيم في «الحليّة» (٦/ ٣٤١).

**العلة الثانية، والثالثة:**

قال البخاري: «في حديث أبي العشراء واسمه، وسماعه من أبيه نظر»[١].

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، ولا نعرف لأبي العشراء عن أبيه غير هذا الحديث.

وقال الحافظ: «أبو العشراء مختلف في اسمه واسم أبيه، وقد تفرد حماد بن سلمة بالرواية عنه على الصحيح، ولا يعرف حاله»[٢].

والحديث ضعفه أحمد حيث قال ابن قدامة: «قال أحمد: لو كان يثبت!! يعني أنه لم يثبت، وهذا لم يعمل به الفقهاء»[٣].

ونقل ابن الملقن أيضاً تضعيف أحمد له فقال: «وقال الميموني: سألت أحمد عنه -يعني الحديث- فقال: غلط، ولا

(١) «خلاصة البدر المنير» (٢/ ٣٧١).

(٢) «التلخيص الحبير» (٤/ ٢٤٣).

(٣) «المغني مع الشرح الكبير» (١١/ ١٦٤).

يعجبني، ولا أذهب إليه في موضع الضرورة»[1].

وضعفه شيخنا العلامة الألباني في «إرواء الغليل» (ح ٣٥ ٢٥).

**الحديث الخامس:**

وعن جابر قال: دخل علي -رضي الله عنه- على فاطمة -رحمة الله عليها- يوم أحد فقال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم

فلست برعديد ولا لئيم

لعمري لقد أبليت في نصر أحمد

ومرضاة رب بالعباد عليم

فقال رسول الله ﷺ: «إن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه سهل بن حنيف وابن الصمة (وذكر آخر)».

فقال جبريل: «يا محمد هذا وأبيك والمواساة».

فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل إنه مني».

فقال جبريل: «وأنا منكما»[2].

(ضعيف جداً) رواه البزار (مختصر زوائد ٢/ ٣٢ - ح ١٣٧٧).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢٢): «رواه البزار وفيه معلّى بن عبدالرحمن الواسطي، وهو ضعيف جداً، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به».

وقال ابن حجر -في معلّى- هذا: «متهم بالوضع وقد رمي بالرفض» (التقريب).

قلت: ومما يؤكد ضعف وبطلان الحديث، أنه مؤيد لبدعة الرفض التي أتهم بها معلّى الواسطي هذا.

على أنه يجوز للملائكة ما لا يجوز لغيرهم، فقد أمرهم ربهم بأن يسجدوا لآدم، وفي حديث: «الأعمى، والأقوع، والأبرص» تمثل المَلَك بصورة غير صورته، وهذا فيه غير الصدق والحقيقة، ولكنه بأمر الله -تعالى-، فامتثالهم لأمره طاعة، وهي في حقنا معصية.

**الحديث السادس:**

قول أبي بكر الصديق: «وأبيك ما ليلك بليل سارق».

رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٣٥)، «والاستذكار» (٢٤/ ١٨٧)، والشافعي في «مسنده» (١/ ٣٣٦)، وفي «الأم»،

(١) «خلاصة البدر المنير» (٢/ ٣٧١).

(٢) «التلخيص الحبير» (٤/ ٢٤٣).

والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٧٣) وغيرهم كلهم من طريق مالك به.

(منكر بهذا القسم) وهو من رواية القاسم بن محمد عن أبي بكر الصديق والقاسم لم يدرك أباه فضلاً عن جده أبي بكر، وقد صرح بذلك العلائي في «جامع التحصيل» (الترجمة / ٦٢٦)، فقال: «أرسل عن جده -رضي الله عنه-».

وقد قال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٣١) «فيه انقطاع».

وقال ابن الملقن في «خلاصة البدر المنير» (٢/ ٣٢٦): «قال الضياء المقدسي: القاسم لا أراه أدرك زمان جده».

قلت: بل ذلك قطعي، لأن أباه محمداً ولد في حجة الوداع وكان عمره حين توفي أبوه أبو بكر ثلاث سنين، بل ذكر فيه العلائي أن القاسم لم يدرك أبله أيضاً ا. هـ.

ورواه الدارقطني في «سننه» (٣/ ١٨٥)، وهو في «غوامض الأسماء المبهمة» (١/ ٢٦٨) من طريق الحسن بن عرفة: ثنا إسماعيل بن عليّة، عن أيوب، عن رافع أن رجلاً أقطع اليد والرجل نزل على أبي بكر فكان يصلي من الليل.

فقال أبو بكر: «ما ليلك بليل سارق».

وهذا أيضاً منقطع لأن نافعاً لم يدرك أبا بكر، مع أنه ليس فيه موضع الشاهد فإنه ذكره ولم يورد القسم المذكور.

وورد موصولاً من حديث معمر، قال: أخبرني أيوب، عن نافع، عن ابن عمر نحوه، إلا أنه قال: كان إذا سمع أبو بكر صوته من الليل، قال: «ما ليلك بليل سارق» رواه عبدالرزاق في «مصنفه» (١٠/ ١٨٩ - ح ١٨٧٧٤).

وهذا إن صح يؤكد نكارة اللفظة المذكورة وهي قوله: «وأبيك».

ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الرواية قد صحت موصولة من حديث عائشة وليس فيها القسم المذكور كما في «الاستذكار».

ولو صح لم يكن فيه دليل على جواز مخالفة النهي عن الحلف بغير الله،

لاحتمال أن أبا بكر لم يبلغه النهي، أو بلغه ونسيه، أو حلف ذاهلاً ناسياً، وهو عفو من الله.

مع أنها حكاية فعل موقوفة على صحابي، قد خولف بأحاديث صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ، ومما لا شك فيه أن المرفوع مقدم، لو تساويا في الصحة فكيف وقد تبين مما سبق أنها غير صحيحة، والله المستعان؟!!

**الحديث السابع:**

قال الرامهرمزي: حدثنا أحمد بن عبدالله حماد الخرساني: ثنا أبو بكر العابدي: ثنا الزبير بن أبي بكر: حدثني رجل: عن قيس بن حفص الدارمي، حدثني مسعود بن سليم، قال: ابتنى معاوية بالأبطح مجلساً، فجلس عليه ومعه ابنه قرظة، فإذا هو بجماعة على رجال، وشاب منهم قد رفع عقيرته يغني:

بينمايذكرنني أبصرنني
عند قيد الميل يسعى بي الأغر

قلن تعرفن الفتى قلنا نعم
قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال: من هذا؟

قالوا: عمر بن أبي ربيعة.

قال: خلوا له الطريق فليذهب.

قال: ثم إذا هو بجماعة، وإذا رجلٌ يُسأل، يقال له: رميت قبل أن أحلق، وحلقت قبل أن أرمي، لأشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج.

قال: من هذا؟

قالوا: عبدالله بن عمر.

فالتفت إلى ابنه قُرظة، قال: «هذا وأبيك الشرف، هذا والله شرف الدنيا وشرف الآخرة»[1].

(ضعيف) مسعود بن سليم هذا لم أقف عليه، وفيه ذاك الرجل المبهم.

ولو صح، فلا حجة فيه، ويرد عليه ما ذكرته في التعليق على الأثر السابق.

**وللبحث بقية . . .**

(١) «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» (٤/ ٢٤٥).

❖ الحلقة الثالثة والأخيرة

# مختصر وصية الفقيه أبي الوليد الباجي لِوَلَدَيه

• بقلم: عبدالرحمن بن محمد بن موسى آل نصر

قال الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف لابنيه -موصياً لهما فيما يتعلق بأمر دينهما ودنياهما -رحمة الله عليهم-: ...

* وعليكما بطلب الحلال واجتناب الحرام فإن عدِمتما الحلال فَالْجَآ إلى المتشابه.

* وإياكما والظلم، فإنَّ الظلم ظُلمات يوم القيامة، والظالم مذموم بين الخلائق مبغَّض إلى الخلائق.

* وإياكما والنميمة، فإنَّ أول من يمقت عليها من تُنقل إليه.

* وإياكما والحسد، فإنَّه وباءيهلك صاحبه، ويُعطِب تابعه.

* وإياكما والفواحش، فإن الله -تعالى- حرم ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق.

* وإياكما والغيبة، فإنها تحبط الحسنات، وتُكثر السيئات، وتُبعد من الخالق وتُبغِّض إلى المخلوق.

* وإياكما والكبر، فإن صاحبه في مقت الله متقلِّب، وإلى سخطه منقلب.

* وإياكما والبخل، فإنَّه لا دواء أدوأُ منه، لا تسلم عليه ديانة، ولا تتم معه سيادة.

* وإياكما ومواقف الخزي، وكلَّ ما كرهتما أن يظهر عليكما فاجتنباه، وما علمتما أن الناس يعيبونه في الملأ فلا تأتيانه في الخلاء.

* فإن بلغ أحدكما أن يسترعيه الله أمة بحكم أو فتوى، فليتمثل العدل جُهده، وليتجنب الجور وعُدره، فإن الجائر مضاد لله في حكمه، كاذب عليه في خُبره، مغيِّر لشريعته، مجانِف له في خليقته، قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

* وإياكما وشهادة الزور، فإنَّها تقطع ظهر صاحبها، وتفسد دين متقلِّدها، وتُخلِّد قبح ذكره، وأول من يَمقته وينِمُّ عليه المشهود له.

* وإياكما والرشرة، فإنَّها تعمي عين البصير، وتَحطُّ قدر الرفيع.

* وإياكما والغناء، فإنَّ الغناء يُنبت الفتنة في القلب ويُولِّد خواطر السوء في النفس.

* وإياكما والشِّطرنج والنرد، فإنَّه شُغل البطَّالين، ومحاولة المترفين، يُفسد العُمر، ويُشغل عن الفَرض.

ويَجب أن يكون عمركما أعزَّ عليكما وأفضل عندكما من أن تقطعاه بمثل هذه السخافات التي لا تُجدي، وتفسداه بهذه الحماقات التي تَضُرُّ وتُردي.

* وإياكما والقضاء بالنجوم والتكهُّن، فإنَّ ذلك لمن صدَّقه مُخرج عن الدين ومُدخل له في جُملة المارقين.

* **وأما القسم الثاني مما يجب أن تكونا عليه وتتمسكا به:**

* فأن يلتزم كل واحد منكما لأخيه الإخلاص والبر والإكرام، والمراعاة في

السر والعلانية، والمراقبة في الغيب والشهادة.

* وليلتزم أكبركما لأخيه الإشفاق عليه، والمسارعة إلى كل ما تُحبه، والمعاضدة فيما يُؤثره، والمسامحة بكل ما يرغبه.

* ويلتزم أصغركما لأخيه تقديمه عليه، وتعظيمه في كل أمر بالرجوع إلى مذهبه، والاتباع له في سره وجهره، وتصويب فعله وقوله.

وإن أنكر منه في الملأ أمراً يُريده، أو ظهر إليه خطأ فيما يقصده فلا ينكر إظهاره عليه، ولا يَجهر في الملأ بتخطيئه، وليُبين له ذلك على انفراد منهما، ورفق من قولهما، فإن رجع إلى الحق وإلا فليتبعه على رأيه.

* وليُثابر على نصح أخيه وتسديده ما استطاع، ولا يُحِلْ يده عن تعظيمه وتوقيره.

* ولا يُؤْثِر أحدكما على أخيه شيئاً من عَرَض الدنيا.

* ومن وُسِّع عليه منكما في دنياه فليشارك بها أخاه ولا ينفرد بها دونه وليحرص على تَثمير مال أخيه كما يَحرص على تَثمير ماله.

* وأظهِرا التعاضد والتواصل، والتعاطف، والتناصر؛ حتى تُعْرَفا به، فإن ذلك مما تُرضيان به ربَّكما ودينكما، وتغيظان به عدوكما.

* وإياكما والتَّنافس والتقاطع والتّدابر والتحاسد، وطاعة النّساء في ذلك؛ فإنه ممّا يُفسد دينكما ودنياكما، ويضع من قدركما ويَحط من مكانكما، ويُحقِّر أمركما عند عدوكما، ويُصغِّر شأنكما عند صديقكما.

* ومن أسدى منكما لأخيه معروفاً أو مكارمة أو مواصلة فلا ينتظر مقارضة عليها، ولا يذكر ما أتى منها، فإن ذلك مما يوجب الضغائن ويسبب التباغض ويقبح المعروف، ويُحقر الكبير، ويدل على المقت، ودناءة الهمَّة.

* ثمَّ عليكما بمواصلة بني أعمامكما وأهل بيتكما، والإكرام لهم، والمواصلة

لكبيرهم وصغيرهم، والمشاركة لهم بالمال والحال والجاه، والمثابرة على مهاداتهم والمتابعة لزيارتهم، والتعاهد لأمورهم والبر لكبيرهم والإشفاق على صغيرهم، والحرص على نماء مال غنيِّهم، والحفظ لِغَيْبِيهم والقيام بحوائجهم دون اقتضاء لمجازاة، ولا انتظار مقارضة، فإن ذلك مما تسودان به في عشيرتكما، وتعظمان به عند أهل بيتكما.

* وصلا رحِمكما وإن ضعف سببها، وقرِّبا ما بعد منها، واجتهدا في القيام بحقِّها، وإياكما والتقطيع له.

* ثمَّ الجار: عليكما بحفظه، والكفّ عن أذاه، والستر لعورته، والإهداء إليه والصبر على ما كان منه.

ثمَّ من علمتما من إخواني وأهل مودتي؛ فإنه يتعيَّن عليكما مراعاتهم وتعظيمهم وبرُّهم وإكرامهم ومواصلتهم.

* ثمَّ إخوانكما عاملاهم بالإخلاص والإكرام وقضاء الحقوق، والتجافي عن الذنوب والكتمان للأسرار.

* وإياكما أن تُحَدِّثا أنفسكما أن تنتظر مقارضة أحدٍ أحسنتما إليه وأنعمتما عليه، فإن انتظار المقارضة يسمم الصنيعة، ويعيد الأفعال الرفيعة وضيعةً، ويقلب الشكر ذماً، والحمد مقتاً.

ولا يجب أن تعتقدا معاداة أحد واعتمدا التحرز من كل أحد، فمن قصدكما بمطالبة أو تكرر عليكما بأذية فلا تقارضاه جُهدكما، والتزما الصبر له ما استطعتما، فما التزم أحد الصَّبر والحلم إلا عزَّ ونُصر، ومن ﴿بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج:٦٠].

* وإياكما أن تستحيدا عن هذا المذهب، أو تعتقدا غيره، أو تتعلقا بسواه فتهلكا وتخسرا الدين والدنيا، وربما دعوتما في شيء فنالكما مع الدعوة مَعَرَّةٌ، أو وَصَلَتْ إليكما مَضَرَّةٌ، فازدادا حرصاً على الدعاء ورغبة في الإخلاص، والتضرع والبكاء، فإنَّ ما

نالكما من المضرَّة بما سلف من ذنوبكما، واكتسبتماه من سيِّئ أعمالكما، ومع ذلك فالذي ألهمكما إلى الدعاء ووفَّقكما له لا بد أن يُحسن العاقبة لكما وقد نجَّاكما بدعائكما من الكثير، وحَرَف به عنكما من البلاء الكبير.

* وإذا أنعم عليكما ربكما بنعمة فتلقياها بالإكرام لها، والشكر عليها، والمساهمة فيها، واجعلاها عوناً على طاعته، وسبباً إلى عبادته، والحذر الحذر من أن تُهنيا نِعمةَ ربكما فتترككما مذمومين، وتزول عنكما ممقوتين.

* وإياكما والاستكثار من الدنيا وحطامها، وعليكما بالتوسط فيها والكفاف الصالح الوافر منها، فإنَّ الجمع لها والاستكثار منها مع ما فيه من الشغل بها، والشغب بالنظر فيها، يصرف وجوه الحسد إلى صاحبها، والطمع في جامعها، والحنق على المنفرد بها.

* ومن احتاج منكما فليُجْمِل في الطلب، فإنَّه لا يفوته منا قُدر له ولا يدرك ما لم يُقدر له.

* ولا يرغب أحدكما في أن يكون أرفع الناس درجة، وأتمهم جاهاً وأعلاهم منزلة، فإن تلك حالاً لا يسلم صاحبها، ودرجةً لا يثبت من احتلَّها، وأسلم الطبقات الطبقة المتوسطة، لا تهتضم من ضَعَة، ولا تُرمق من رفعة.

ومن عيب الدرجة العليا أن صاحبها لا يرجو المزيد ولكنه يَخاف النقص، والدرجة الوسطى يرجو الازدياد، وبينها وبين المخاوف حجاب، فاجعلا بين أيديكما درجة يشتغل بها الحسود عنكما ويرجوها الصديق لكما.

* ولا يطلب أحدكم ولاية، فإنَّ طلبها شيْن وتركها لمن دعي إليها زين؛ فمن امتُحن بها منكما فلتكن حاله في نفسه أرفع من أن تُحدث بأواً[1] أو يبدي فيها زهواً.

---

([1]) هو العظمة والكبر والفخر (لسان العرب ١٤/ ٦٣).

وليعلم أن الولايــة لا تزيـده رفعـة ولكنها فتنة ومحنة، وأنّه معـرَّض لأحـد أمرين: إما أن يُعزل فيعود إلى حالته، أو يسـيء اسـتدامة ولايتـه فيقبـح ذكـره، ويثقل وزره وإن اسـتوت عنـده ولايتـه وعزله كان جديـراً أن يسـتديم العمـل، فيبلغ الأمل، أو يعزل لإحسانه فلا يحط ذلك من مكانه.

* وأقلا ممازحة الإخوان وملابستهم والمبالغـة في الاسترسـال معـهم، فـإن الأعداء أكثرهم ممن هـذه صفتـه، وقـل من يعاديك ممن لا يعرفك ولا تعرفه.

فهذا الذي يَجب أن تتمثلاه وتلتزماه ولا تتركاه لعرض ولا لوجه طمع.

وإني لأوصيكما وأعلم أني لن أغني عنكما مـن الله شـيئا ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف:٦٧]وهو حسـبنا ونعم الوكيل.

قلت: وفي التمـام، نسـأل الله حسـن الختام، وأن يغفر لنا ولوالدينـا ولعلمـاء الإسـلام، أتبـاع السـلف الكـرام، وأن يجمعنا بسيد الأنام يوم نلقى ربَّنا السلام -عزَّ وجل- ، وأن يجعلنـا مـن العلمـاء الربانيين العاملين العالمين المخلصين.

والحمد لله رب العالمين.

# حقائق واجبة الحضور...

●بقلم: أسرة التحرير

إذا وقعت الفتن والحوادث، واضطربت الأفكار والأقوال، وتَشَتَّتِ المصالح والأهداف، وتسيّست المواقف والآراء؛ فلا سبيل لملازمة الهدى ومجانبة الهوى إلا بالتذكير بحقائقَ ثلاثٍ مهمةٍ:

**أولها:** المتكلم في الفتن والملاحم عليه أن يفقه الأحكام الكلية، وأصول الكلام فيهما، وأن يتصور الوقائع والحوادث وأحوال الناس تصوراً تاماً، وأن يتمكن من إنزال المرويات والنصوص على الواقعة بمسلكٍ سليم وتأويل صحيح؛ وإلا فالسكوت أولى، والورع أسلم.

**الحقيقة الثانية:** أن كلام أهل العلم المحقَّق -في مواضع الفتن والملاحم- هو المعتبر، ولا عبرة بقول غيرهم ممن يخوض فيهما بجهل وظلم، ومِن غير مراعاة للضوابط الشرعية والمصالح الضروريّة، مع ما يترتب على تأصيلاتهم الفاسدة من وَرْطات خطيرة قد تؤول إلى فساد الأديان، وهدم الديار، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض؛ كما قال عبدالله بن عمر -رضي الله عنه-: «إن من وَرْطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سَفْكَ الدماء الحرام بغير حله».

**الحقيقة الثالثة:** أنه إذا اشتبهت الأمور، وتداخلت المصالح بالمفاسد، وآلت الفتن إلى ملاحم، والملاحم قد تؤول إلى فتن بين المسلمين، وبدأ التحالف الخفي بين الكافر المحارب والمبتدع الضائل ؛ فآنذاك لا سبيل لأهل السنة المحضة إلا الأخذ بالأصل الشرعي المستقرّ؛ وهو: «أن حفظ رأس المال مقدم على الربح»، ورأس المال عند أهل الفهم الصحيح من أهل السنّة هو العلم الشرعي النافع والعمل الصالح؛ فيقع على السالكين سبيلَ النجاة ترسيخُ العلم بمسائله ودلائله، ونشره بين الخلق، وتربية طلاب العلم على صغار العلم قبل كباره، والحرص على الدعوة إلى التوحيد، وأن حقيقة الإصلاح تكمن في السعي لإصلاح عقائد الناس، وعبادتهم، وأخلاقهم، وأنه -عند التعذر، أو غلبة الأغراض الضارة- فالأَوْلى بالعبد أن يشتغل بواجب الوقت لا بالمصالح الظنيّة الموهومة.

والله من وراء المقصد .

## قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

**«والفتنة إذا وقعت عجز العقلاءُ فيها عن دفع السّفهاء، فصار الأكابرُ -رضي الله عنهم- عاجزين عن إطفاء الفتنة، وكَفِّ أهلها.**

**وهذا شأن الفتن؛ كما قال -تعالى-: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].**

**وإذا وقعت الفتنة لم يَسلم من التلوث بها إلا مَن عصمه الله».**

[((منهاج السّنّة)) (٤/ ٣٤٣)]

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

## (قسيمة اشتراك)

الاسم: .....

الدولة: ..... المدينة:..... الحي: ..... الشارع:.....

رقم المنزل: ..... الهاتف:..... الفاكس: .....

العنوان البريدي: .....

.....

.....

**ماذا يستفيد المشترك:**

١ـ مجلة الأصالة. ٢ـ نشرات المركز العلمية. ٣ـ نشرات المركز السمعية.

٤ـ صحيفة «البينة» باللغة الإنجليزية. ٥ـ خصم ٢٠٪ من الدورات العلمية التي يعقدها المركز.

٦ـ خصم ١٠٪ لمن يشترك لأكثر من سنة.

ـ قيمة الاشتراك السنوي: (٦٠) دينار للأردن - (٢٠٠) دولار لدول الخليج - (٢٥٠) دولار لأوروبا - (٣٠٠) دولار لأمريكا.

ـ اقتراحات أخرى.

.....

.....

ـ رقم الحساب: (١١٢٥٩) البنك الإسلامي الأردني - فرع طارق.

(ترسل الاشتراكات بحولات بنكية مصدَّقة باسم: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي).

. يُرسل إشعار الحوالة إلى عنوان «مركز الإمام الألباني».